مجموعة رسائل

بعد التحية

الأستاذة

صفاء خليل



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : بعد التحية

المؤلف : أ. صفاء محجوب محمد خليل

رقم الايداع : ١٦٦١٠ / ٢٠١٦م

الترقيم الدولى :

٨ _ ٢٥ _ ٦٥٦٥ _ ٩٧٧ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٦



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

الإهداء

إلى

أمي، أبي، جدتي، ،

مازلتم في ذاكرتي نقوش عصية
على الرحيل .. كلما وصلت إلىْ مدن
النِسيّانِ التقيت بكم ، و مهما طالت
بيننا المسافات هناك لقاء

«هـذه رسـائلي إليـك، مـازالـت مغلقـة ،،، و لأنـني فتـاة تحتسـب الصّـدمات، أكثـر مـن احتسـابها لعـدد الحفـر في طريقهـا إلى العمـل، أفـترض كـذلك أنـه مـن الممكـن ألاّ توجد أبداً، لذا ما أريدك أن تعلمه يا عزيزي جيّدًا هو أنـني لا أكترث أبداً!.

حسناً، ربّما أكترث قليلاً!».

(١)

هذه رسالتي الأولى إليك من الخرطوم ..

أنا هنا لأسباب كثيرة، ربما أشرحها تباعا في رسائل أخرى لاحقة،

إذا استمرّت هذه الرسائل بيننا، كما أرجو وعلى الرغم من أن هذه الأسباب باتت معروفة للجميع، إلا أننا نحبّ سماع التجربة مرارا وتكرارا حين تكون التجربة الفاجعة المشتركة بين الجميع، نعم هي تجربة فاجعة، ولن تكون التجربة الأكثر تعقلا التي ستقوم بها في حياتك

أنا بخير ظاهريا ، كما تعرفني دائما، إذ لا أعرف أن أكون غير ذلك، مهما حدث، كنت أردد دائماً ليس هناك ما يستحقّ بجميع الأحوال أن أكون غير ذلك، وكنت أستغرب دائما أن تُعطى الأمور تهويلا أكثر مما تستحقّ ، وهي أمور دائمة التغيير في نهاية الأمر، وفي تغييرها غنى لحياتيّ

لا تعتقد أنك ستقي نفسك الكثير من الحزن حين ترى الأمور بهذه الطريقة .

من الأول منذ وصولي إلى الخرطوم ، أنا أبكي ، كما لم أبكِ أبدا، حتى أنني استغربت مدى قدرة عينايّ على بذل كلّ هذه

الدموع دون توقف، أحسست أنني وحيدة في مكان سيهوي تماما في أيّ لحظة من الكرة الأرضية، بجميع الأحوال استمر بكائي، وأحيانا أصاب بحالة انتكاسية ما بمجرد سماعي أغنية ما كنت أسمعها قبل أحزاني، أو بمجرد حتى أن أشرب فنجان قهوة .

ستنتقم منك ذاكرتك حين ترحل، ستأخذ التفاصيل التي كنت تعتقد أنك تعرفها جيدا علاقة جديدة معك، لم يكن عليك سوى الرحيل كي يأخذ كل شيء امتدادا جديدا لم تعتد عليه، الوجوه التي تحفظ ملامحها عن ظهر قلب، فنجان القهوة الذي تعرف مقاديره جيدا، أصوات من تعرفهم، امتداد الصمت المعتاد بعد كلّ حديث، كل شيء يمعن النظر فيك، كل شيء يمعن النظر في إيلامك بطريقة ما.

ما زلت أكتب، وما زلت، كما تعرفني كذلك، أخاف اقتراف النصوص الكبيرة، كموعد أول خائف مع عاشق؛ أضرم دائما مع الكلمات موعدا خجولا سريعا، أحاول فيه اختيار أقل الكلمات، ثم أكتشف بعدما أنتهي أنني مارست الكثير من الثرثرة ، وكان عليّ أن أكون أكثر تعقلا ورويّة، إلا أن ما يهمّ في الأمر أنني ما زلت أكتب، وسأبقى بخير طالما أفعل.

أكتب لي، وأنا سأفعل كلما كان هناك ما يستحقّ أن أكتبه.

كن بخير، من أجل أن يبقى شيءٌ من الجمال الذي أعرفه بخير

في هذا العالم.

(٢)

حين يفقد الوطن قدرته على احتمالك يا صديقي ، سيصبح الرحيل طريقك المعبد الوحيد، وسيصبح منفاك وطنك الأكثر أمانا!

حينها فقط، ستأخذ التفاصيل الأكثر بساطة، القداسة الأكبر !

ستتمعن التفاصيل الأقل اعتبارا في إيلامك، وكأنها كانت في صمتها المبالغ، تكيد لك في غفلة منك، بأقل قدر ممكن من الضجيج!

لن يكون بمقدورك وداع أي شيء بالشكل الذي يليق، إذ تكتشف أخيرا أن لا شكل على الإطلاق، مهما كان، يليق بالوداع!

أنت الذي عادة ما تدعي اللإنتماء، أنت الذي عادة ما تدعي قدرتك على الفقد، ستكتشف أن مجرد زاوية في دارك، تفوق طاقتك على الاحتمال!

(٣)

أنا يا صديقي لم أعد أشعر بشيء، وهذا لا يعني أبدا أني حزينة، لا، ولا أني سعيدة كذلك، أنا أمرّ بمرحلة جديدة من اللآشعور

فحسب، هل أخبرتك من قبل أن الشّعور طاقة كذلك، طاقة كبيرة جدا، وأنا لم أعد أمتلك الطّاقة الكافية كيّ أشعر بأبسط الأشياء، هل تتصوّر ذلك، حتّى أنّي مستعدةٌ للاعتذار عن كل الأخطاء التي لم أقترفها، مستعدة أن أعترف بكلّ ما لم أفعله واتّهمت به، دون أن يعنيني ذلك أبدا!

(٤)

سأعترف لك يا صديقي ، انا أخاف الحبّ .!

ليس الأمر أني أخاف الوحدة بعد الحبّ، كما يقال دائما، لا، إذ كما الحبّ بالنسبة لي طاقة لا نهائية، فالوحدة كذلك طاقة لا نهائية، نحن نمتدّ في وحدتنا الخاصة، «نتعملق»، بينما «نتقزّم» مع الآخرين، والحبّ الذي ليس بمقدوره أن يُغْني وحدتك الخاصة، لم يكن ولن يكون حبّا أبدا .!

أنا أخاف الحبّ لأني أخاف أن يتحول هذا الحبّ إلى فعل أذيّة، فأحمّل من أحبّ مسؤولية أني أحبه، فأؤذيه، أخاف أن أحبّ طفلي الصغير، لدرجةٍ أحمّله فيها مسؤولية هي ليست في الحقيقة مسؤوليته، بل مسؤولية ترتبت على ممارسة مشاعري ببدائية تجاهه، وأنا التي نجحت كما أتصور حتى الآن - قدر الإمكان - بألا أكون بدائية في مشاعري تجاه من أحب، أخاف ألا أنجح في ذلك حين يتعلق الأمر بالطفل الذي سأنجب.

قلت يوما أني لا أريد أن أنجب طفلا، لأني لا أريد لكائن من كان أن يعيش تحت ظلّي، بل تحت الشّمس، كما يليق به أن يعيش، وكما يليق بيَ أنا أن يعيش، وأخاف كلّ الخوف ألاّ أفعل، أخاف أن أحسب أن ظلّي المريح أكثر أمانا من الشّمس الحارقة، وهو ليس كذلك أبدا.

(٥)

حين ترحل، لا تعود الكائن المنتمي أو الكائن اللامنتمي نفسه، بل تتحول إلى كائن معطوب الانتماء، هكذا تماما، نصف منتمٍ ونصف لا منتمٍ في الوقت نفسه، وسيكون عليك أن تتعايش مع هذا العطب الذي أصابك بقية حياتك وأنت تعلم تماما أن لا سبيل لإصلاحه، تتمنى لو تعود منتميا فتقبل حالة السلام في عبوديتك، أو تعود لا منتميا فتكتشف جمالا ما في حالة اغترابك، ولكنك ستبقى هنا، في منتصف المسافة لتعريف الأشياء تعريفا كاملا ذي معنى، وحين تكون رجل الإجابات الحاسمة والقرارات الحاسمة التي لا تقبل القسمة على اثنين، ستواجه الكثير من الصعوبة والغرابة وأنت تعيد اكتشاف نفسك من جديد بينما تقبل قسمة هذه الأمور على اثنين وثلاثة وربما أكثر.

(٦)

سأجيب على أسئلتك «الثقيلة الدّم»، كما وصفتها، وسأكون

سعيدة دائما بهذا العيار من ثقل الدّم في الأسئلة، فالأسئلة «خفيفة الدم» لم تعد تجدي، لم تعد تصيب نقطة الطّرب في الرأس، ونقطة الطرب هذه، كما تعلم، تحتاج إلى معايير خاصّة كيّ يتم إشباعها، تحتاج إلى أشخاص بصفات محددة، جنون من نوع خاص، ولا أفقر من إنسان يفتقد لمثل هذه الأمور من حوله، أو لصديق «ثقيل الدم» مثلك يا صديقي.

ما أصاب حقا نقطة الطرب في رأسي هو سؤالك حول الانتماء؛ «هل تشعرين بالانتماء إلى المكان الجديد؟»، هل تعرف أن حتى الأسئلة المعتادة التي تعتقد أنك توصلت إلى إجابة حاسمة لها ستأخذ أكثر من إجابة مع الوقت، وستكون كل إجابة حاسمة في ظروفها الخاصة جدا!..

المهم، وإجابة على سؤالك؛ لقد كنت أعرف سابقا الانتماء، كما كنت أعرف كذلك اللاانتماء، كنت أعيد وأكرّر وأقول دائما أن انتماءاتنا لا تورثنا إلاّ العبوديّة، وهذا فعلا ما تفعله، لذا قررت بمرحلة نضج معينة، إن صح الادّعاء، أن تأخذ انتماءاتي شكلا جديدا، هو ليس قرارا بقدر ما يكون اكتشافا؛ أنك ببساطة كائن لا يعرف إلا أن يكون حرّا، وأن لا انتمائك ترجمة لحريتك هذه، هو اكتشاف جميل وصعب في الوقت ذاته، إذ سيكون عليك أن تعيد تعريف الكثير من الأمور والأشخاص من حولك؛ الله، الوطن،

الإنسان، الحب، وهو ليس أمرا سهلا، قد تكفر بالكثير من الأمور التي يؤمن بها سواك من أجل إنقاذ فكرة «الله» التي يقومون عن طريق إيمانهم بتشويهها، قد تتوقف عن الحبّ الذي آمنت به عمرا كاملا حين تكتشف أنه صيغة أخرى لعبوديتك، قد تتخلى عمّن لا يمارسون معك سوى «قولبتك» بينما يعتقدون أنهم يمارسون معك الحبّ، ستكفر بالكثير حين تكتشف أن كلّ الأرض وطنك وكل الإنسان أخاك، ولكن ما أشعر به اليوم قد أخذ بعدا جديدا جدا .

حين ترحل، لا تعود الكائن المنتمي أو الكائن اللامنتمي نفسه، بل تتحول إلى كائن معطوب الانتماء، هكذا تماما، نصف منتمٍ ونصف لا منتمٍ في الوقت نفسه، وسيكون عليك أن تتعايش مع هذا العطب الذي أصابك بقية حياتك وأنت تعلم تماما أن لا سبيل لإصلاحه، تتمنى لو تعود منتميا فتقبل حالة السلام في عبوديتك، أو تعود لا منتميا فتكتشف جمالا ما في حالة اغترابك، ولكنك ستبقى هنا، في منتصف المسافة لتعريف الأشياء تعريفا كاملا ذي معنى، وحين تكون رجل الإجابات الحاسمة والقرارات الحاسمة التي لا تقبل القسمة على اثنين، ستواجه الكثير من الصعوبة والغرابة وأنت تعيد اكتشاف نفسك من جديد بينما تقبل قسمة هذه الأمور على اثنين وثلاثة وربما أكثر .

بجميع الأحوال، ستتعلم مع الوقت أن تنتمي للمكان الذي يحترمك على الأقل، فيجبرك على احترامه.

(٧)

لقد مللت من السلبية الموجودة بحياتنا، و العدوى السلبية عندما تنتقل لنا تسبب لنا الخوف والحذر.

أشعر بالغثيان المستمر !

لم يعرف أحد سبب هذه المشكلة المستمرة التي تحدث معي حتى الآن !

أخذت الكثير من العلاجات والأدوية الطبية التي وصفها لي الطبيب

ولم أشعر بأي تحسن ربما الأمر يزداد سوءاً !

لٰكن أظن الآن أني توصلت إلى نتيجة مضمونة ربما من تكرار الشيء..

كنت أحلم يوماً ما أن اصبح طبيبة نفسية فقط لأواجه هؤلاء الأشخاص الذين يعانون من مرض نفسي ما !

ربما هم ليسوا مرضى بالنسبةِ لي

هم أكثر وعياً ونضجاً من الأشخاص الطبيعيين الذين

نواجههم في حياتنا اليومية

ربما أصبحوا مرضى لمواجهة هؤلاء الأشخاص الذين هم بنظر الجميع طبيعيين..

البعض منهم يصل لدرجة الجنون

الأمر ليس غريباً .. جداً طبيعي في عالم كهٰذا

وبين أشخاص كهؤلاء!

أشخاص لا تعرف معنى الحياة ووجودها هدر أكسجين فقط!

أنا أخاف الحب في هذا العالم .

أخاف الأشخاص، أخاف الأماكن !

أخاف الحب في مكان لا يشبه الحب

أخاف الأشخاص الذين يجعلونني في متاهة وحيرة !

أشخاص مزاجية، أشخاص تعشق التصنع والمظاهر وابراز النفس على الغير ..

أشخاص لديها وجوها كثيرة، لا وجهين بل آلاف الوجوه و اكثر !

هذا النوع من الأشخاص يجعلني أشعر برغبة في التقيؤ!

أخاف مما هو مخبأ لي في اليوم التالي،، أخاف من المجهول.

أخاف اللقاءات الأولى !

أخاف المكان الذي لا يشبهني اشعر بأني تائهة وضائعة، كطفلة لايتجاوز عمرها سنتين لن تجد أمها ..

البعض يرى غموضي قاتلا، ولست مفهومة في بعض الأوقات ...

نعم غامضة وانا أعشق غموضي في هذا العالم الغامض المشوش المريض .. فكيف لي أن أكون واضحة بين كمية هائلة من الغموض !

لا أحد يستحق ان يتعرف على الحقيقة،

فالحقيقة هي أجمل من أن تظهر !

حين تصبح الأفكار والتجارب الأحداث كثيرة.. يصبح التفكير في حالة شلل! مقعد وعاجز عن أي شيء..

(٨)

إننا مريضون يا صديقي، مريضون في صميمنا دون أن نشعر، جميعنا بلا استثناء، حتى نحن الذين نعتقد أننا كنا بعيدين جدا عن ذلك الكمّ من السّواد من حولنا، سنكتشف يوما ما حين نرحل إلى

بقعة تختلف عنا يعيش بها بشر من نوع أنسيّ آخر، أننا كنا أضعف بكثير من أن نقاوم، أو أن العقد التي توارثناها جيل بعد جيل كانت أقوى منّا بكثير، وكان لا بد أن نصاب بشيء قليل أو كثير منها مع الوقت، عن قناعة مسبقة أو عن غير قصد. كيف أشرح لك الأمر؟، فاجأتني صديقة تكبرني عمرا وفكرا وجمالا حين كنا نتحدث حول مفهوم الجّمال ذات يوم، قالت بصراحة شديدة أنها لم ترَ نفسها كأنثى جميلة أبدا، وهي تملك من جمال الوجه والروح والفكر مالا يحتاج أن أتحدث عنه أبدا، وعللت ذلك ببساطة أن جمالها لا يتبع مقاييس المجتمع الذي تعيش فيه، قالت لي يومها: «لا تستطيعين أن تقومي بتغيير عقليّة عشت عليها لأكثر من أربعين عاما حتى نسيت أنها عقليّة مكتسبة وليست شخصيّة، يكفي أن يستمروا في قول الشيء الذي يريدونه عمرا بأكمله، يكفي أن تسمعيه على مدى عمرك بأكمله، حتى تنسي كيف ومتى قمت بتصديقه، إلى درجة تحوله إلى قناعتك الخاصة التي تدافعين عنها باستماتة، من الصعب أن أرى نفسي جميلة بعد أربعين عاما أقنعوني بها تماما أني غير ذلك لمجرد أني لا أتبع مقاييسهم، لا تستغربي، أنا نفسي أمارس هذه المقاييس التي أكرهها على غيري .«!

هكذا هو الأمر تماما، تعايشنا مع عقدنا وأمراضنا المتوارثة حتى نسينا تماما أنها أمراض أو أننا مرضى بها ونمارسها بقسوة

حتى على أنفسنا. لقد ألقى عابر طريق عليّ التحيّة منذ يومين بينما كنت أتمشى تحت الشمس في الصباح الباكر ولم أكن أحمل مظلة، قال لي: «صباح الخير، يبدو أنه كان عليك أن تحترسي من هذا اليوم المشمس وتحملي مظلة» . كان يتحدث وهو على عجلة في طريقه ويضحك على نفسه لأنه نفسه لم يكن يحمل مظلته، ابتسمت في وجهه وقلت: «صباح الخير، أرجوك، انتبه إلى نفسك»، ومشينا كلٌّ في طريقه. تصوّر، كانت أول «صباح الخير» التي أقولها لعابر طريق لا أعرفه في هذا البلد ، عابر طريق لا يجمعني فيه سوى يوم مشمس ، كانت بسيطة تلقائية، ولم أكن أحتاج إلى الكثير من الخوف الذي اعتدته كيّ أقولها، إنهم يمارسون الابتسامة من حولك دائما في هَذَا البلد ، ولكنك المريض القادم من بلاد الوجوه المتحجّرة، أنت الذي اعتدت على ثقافة النوايا المبيّتة خلف مجرّد ابتسامة، أنت الذي اعتدت أن ابتسامتك في وجه الغريب تهمة، وابتسامته اعتداء، لن تعرف إلا أن تستهجن ابتسامات العابرين الدائمة في وجهك.!

هل ترى كم نحن مرضى يا صديقي ، حتى حين لا يتعامل معك الآخر بعنصرية، ستفاجأ أنك تتعامل بها تجاه نفسك، حتى حين لا تكون هناك أية تهمة تجاهك، ستقف تفكر في التهمة التي تستحق، بل وتبرر للآخرين كذلك اتهامك بها، هل تتخيّل معي إلى أيّ درجة وصلت بنا الأمور؟، نحن الذين كنا نعتقد أننا أفضل من

غيرنا بكثير، وأننا لم نُصب بأيّ من هذا الجنون!؟ .

أعتذر إن كنت قد أطلت عليك أو كانت أفكاري مبعثرة..

إنني أكتب دون أن أنسق ما أريد كتابته لـك، وهـذا أمـر جيّـد بجميع الأحوال كيّ أستمر.

سلام يا صديقي «المريض» الجميل .

صحيح، نسيت أن أخبرك أني تعرفت إلى أصدقاء لطيفين جـدا هنـا، قلـت لـك أن «تـاريخ المـرض الواحـد المشـترك» يخلـق الأصدقاء .

اكتب لي دائما، .

وابق بخير، من أجل أن يبقى شيء مـن الجمـال الـذي أعرفـه بخير في هذا العالم القبيح.

(٩)

هل جرّبت يوماً أن ترقص بلا موسيقى!

أن تنصت السّمع إلى روحك كما لو أنها قائد أوركسترا عظيم

كما لو أنّك العازف والمشاهِد والرّاقص

أنت من تقوم بكلّ الأدوار البطوليّة

وكلّ الأدوار الهامشيّة

حتّى أنك أنت مـن تسـكب القهـوة لصـاحب القبّعـة وربطـة العنق،

الذي هو أنت!

ثم تخرج من كلّ ذلك بنصٍّ أنيق يليق بعاشق!

(١٠)

هذا الصباح كئيب ،،،

لا شيء يمكن أن يوقفَ هذا الصّهيل في قلبي، لا شيء..

لا حروب العالم،

لا النّوايا المبيّتة،

لا الكلمات المقصودة، التي لا أفهمها عن قصد،

لا رحيلهم،

لا سلامك الذي لا يجيء،

لا القصائد التي لا تُكتب،

لا الوطن المقبرة،

لا شيء!

(١١)

أنت خلقت كي تسـأل وتبحـث عـن الإجابـات، والأسـئلة لا تنتهي والإجابات لا تكفّ عن أخذك نحو العمق أكثر فأكثر المرّة تلو الأخرى، ولكن عليك أن تعي أنه ليس كلُّ عمقٍ عمقا جمـيلا، هناك عمق ما تصل إليه يجعلك تفقد القدرة على أن تسعد بالأمور البسيطة، هل تعرف، لقد نسيت منذ زمن أن أسـأل نفسـي سـؤالا كهذا؛ هل أنا سعيدة أم لا، تصبح سعيدا حين تتوقـف عـن تـذكّر سؤال كهذا، هذا ما قاله كاتب مـا لا أتـذكر اسـمه تحديـدا، لقـد نسيت أن أفكر حتى إن كان لي وطنٌ أم لا، نسيت أن أهتم إن كـان يعني لغيري ما أفعل أو لا ..

أن تشعرِ أنك عالمٌ بحدّ ذاتك، دون أنانية ودون غرور، هذه هي السعادة!

(١٢)

صديقتي تطلب مني أن أكفّ عن الكتابة عن ألوطن، تطلب أن أكتب شيئا جديدا.

-أنا لا أستطيع يا صديقي ، إن الوطن هو مـا يجعلنـا نكتـب، ثمّ إننا نمارس الكتابة كفعل نسيان، ونحـن نريـد أن ننسـى هـذا الوطن، أن ننسى هذا الـوطن العـاجز عـن الحـب، هـذا الـوطن

المدمّى على صفحات الجرائد وشاشات التلفزة يطلب الشفقة، هذا الوطن الذي أعطانا صكّ عبوديّةٍ يدعى جواز سفر، هذا الوطن الذي يحدث حين نطرق أبوابه، أن يفتح لنا المقابر!

(١٣)

أتعرف!..

ليست الخيانة أن يقوم أحد ما مقرب بالنسبة إليك سواء كان صديقا أو حبيبا بممارسة فعل الخيانة على اختلافه، بل هي أن تقبل أنت نفسك فكرة أن تكون «مشروعا قابلا للخيانة» أمام نفسك والآخر، أن تجعل من نفسك كائنا تتحكم به الحالات المزاجية للأشخاص الآخرين من حوله، فإذا ما مارسوا الخيانة تقبّل الفكرة الشائعة أن يكون هو الشخص الذي وقع عليه فعل الخيانة، بينما في حقيقة الأمر، إن من يقع عليه فعل الخيانة هو الشخص الخائن نفسه، دائما وأبدا، لأنه بخيانته إنما يخون مبادئه هو، ويقبل بذلك ويملك القدرة على أن يعيش حياة مزدوجة، ومن يملك القدرة على أن يعيش حياة مزدوجة شخص لم يكن يعوّل عليه منذ البداية، ولا يليق بك، الحياة أبسط بكثير من أن يحتاج أي أحد أن يلجأ إلى الخيانة في علاقاته، إن علاقة لا تناسبه لم يكن يحتاج إليها منذ البداية، بل ويملك الحرية الدائمة في إعادة تسميتها كيفما يشاء، بشكل ناضج مسؤول، بعيدا تماما عن

الخيانة.

أنت لا تحتاج أن يكون الآخر وفيا، وعدم حاجتك لا يعني استغناءك عنه، بل أنت بذلك تمنحه الحرية الكاملة أن يمارس نفسه بالشكل الذي يريد، وتمنح علاقتكما درجة أرقى، الوفاء لا يُستجدى ولا يُشحذ، بل يمارس نفسه بتلقائية وعفوية، وهو إما أن يكون كذلك أو لا حاجة إليه على الإطلاق، إن وفاءً ضعيفا ليس سوى صيغة أخرى للخيانة.!

(١٤)

إذا لم تصنع شغفك لا يمكنك إبصارُ هذه الحياة واستشعار جمالها ..

وإذا لم تجده في أي شيء فهو في كلّ شيء !

أنت كالقلب يضخّ الدم لجميع الأعضاء .. ولكن لا يضخّ إليه شيء، سرّ بقائك على قيد الحياة -كما القلب- هو في الضخّ لا في الاستقبال !

ولذا عليك أن تعيَ هذا جيداً .. ربّما تفكر أكثر من اللازم .. وتفكيرك يبقيك عن العمل .. وربّما تحبّ الخيال أكثر من الواقع..

ولكن، أليس فيك شغفٌ ما؟ .. !

ستجده يوماً ما، عندما تنسى أنّك لم تجده بعد، وتثقل كاهلك بالتفكير فيه..

ستدركه يا عزيزي عندما تدع الثّانية في يومك تحدّث عقلك وروحك .. وتقول لك: اِنظر! ماذا يمكنك أن تصنع هنا .. !

فإن أجاب عقلك أوّلاً وسكتت روحك، فأنت تفكر .. دعك منه!

وإن أجابت روحك وسكت عقلك، فأنت تحلم ..دعك منها !

ولكن إن أجاب الاثنان معاً .. هنا توقّف قليلاً واخشع لهذه اللحظة الرائعة .. لحظة الشغف ونبض الفكرة.

(١٥)

قوم هذه الأيام بالكثير من الأمور التافهة ..

الأمور التافهة الجميلة، التي لم يسبق لي أن قمت بها أبدا !

وأستطيع أن أتحدث عن الأمر بشكل غنيّ لساعات متواصلة، بنفس درجة الحماس ..

وقد يبدو حماسي مستغربا، بالنسبة للبعض، وربما مبالغا ..

إلا أن جمال الحياة يكمن في أن تأخذ شكلا جديدا كل يوم ..

أن تمارس نفسك بالشكل اللامتوقع، كل يوم ..

أن تكون غير قابل للقولبة، مهما كانت !

الحياة هي مجموع الأمور العظيمة الجميلة، والتافهة الجميلة، التي قمت بها يوما!

(١٦)

وأنت تقوم بتجهيز حقائبك ..

وأنت تمرّ عبر البوابة للرّحيل..

وأنت تعبر القارات إلى مكان ما يشبه الوطن ..

ستكتشف أن كلّ أوجه من أحببت يوما لَيْسَت عابرة للقارات!

بعض الوجوه أضعف بكثير من أن تحتمل عبور الحدود ونقاط التفتيش ..

حين تصل إلى وجهتك الأخيرة في وطنك المستعار، وتقوم بإفراغ حقائبك..

ستكتشف حملا زائدا من الوجوه التي أصابها العفن، بينما كنت تبالغ دائما في تجميلها!

(١٧)

لا شيء جديد نفعله يا صديقي هذا اليوم..

سوى أن نشارك هذا الوطن غبطته وسذاجته في عامه الجديد..

فنسخط على العام الذي مضى، ونبدأ بترتيل قائمة الأدعية التي لا تستجاب أبدا..

نرتدي أجمل ما لدينا قربانا للفرح، ونشرب نخب نفاقنا!

(١٨)

صباح الأمنيات الجميلة المعلقة إلى شجرة الحياة..

صباح الأمنيات التي قمنا باقتطافها..

ونسينا أنها كانت أمانينا، يوما ما!

صباح الأمنيات التي حان قطافها..

ولم نكن نحن من علّقناها، فكانت الأجمل على الإطلاق !

وصباح تلك الأمنيات المؤجلة، التي يكمن جمالها في أنه لم يحن قطافها بعد!

هذا الصباح في المطبخ

أحلى شي أثناء عمل كيكة ، أن تخلط المكونات بيدك، وتملأ اليدين شوكولا، وتكون بحالة حزن لأنك سوف تغسل يدك وهي ملطخة بالشوكولاتة!

وأيضاً، تتلون يدك بلون البنجر في أثناء تقطيعه.

و الأرز بالحليب، ينحرق قليلا وتشرع في أكل ما بأسفل الطنجرة ويكون أشهى مذاقاً من الأعلى.

(١٩)

اليوم صباحا أتت عرافة الحي ..

فجاة أخبرتني لا تحتاجين أن تقولي لي أنّك وحيدة، أعرف ذلك، بل وأعرف أنك ستبقين وحيدة مدى الحياة. ستعرفين الكثير في حياتك ، دون أن يعني لك أحدٌ منهم شيئا، سيحبّك كثيرون، ولأنّك تفضّلين صداقة الرّجل على حبّه، ستجدين أنك وحيدة في نهاية الأمر، دون أيّ أحدٍ منهم. الرّجال لا تُصادق يا عزيزتي ، وإن صادقت رجلا حقّا فأحبّيه، الرّجل الصّديق هو وحده من يستحقّ الحبّ.

...

ستقرئين الكثير من الكتب اللاّمعنى لها، والقليل جدّا الجيّد، الكتب الجيّدة لا تُقرأ، بل تُعاش، تعيشينها كما لو أنها الحقيقة

الوحيدة في هذا الوجود، الحقيقة الوحيدة الباقية، ولا شيء سواها.

...

ستكتبين كتابا جيّدا واحدا، وفي أحسن الأحوال كتابين، إن كتابا واحدا جيّدا تكتبينه يستحقّ أن تكرّسي له حياةً بأكملها، ثمّ إن الكتابة فعل حياة بحدّ ذاتها، فعل تعدّد.

...

ستحبّين رجلا واحدا فقط، حبّا واحدا لا يتكرّر، سيكون الرّجل الصّديق، قبل أيّ شيء آخر، وستنجبين منه طفلين جميلين، أجمل من كلّ ما عرفتيه يوما. ستكبرين، وتزداد الخطوط الدّقيقة في وجهك الطّفل ويديك يوما بعد يوم، ستكونين عجوزا جميلة بجميع الأحوال، عجوزا ناضجة جميلة، ووحيدة.!

...

إنّ الوحدة ستكون هي منفاك ،

هل فعلا نحن نمتدّ في وحدتنا الخاصّة، نمتدّ حتّى اللاّنهاية، نتعملق، بينما نتقزّم مع الآخرين.

(٢٠)

بالأمس كان يوما متعبا بمعنى الكلمة، درجة الحرارة كانت أربعين.

بينما اليوم الجو لطيف نوعا ما وشجرة الورد الأبيض تزهر بسرعة وتخرج منها وردات صغيرة ..

مع قليل من المطر ..

إنها قمة الانتعاش .

(٢١)

أتعلَّم أنا لا أنتمي إلى شيء

هذا الجّسد الموزون كقافية، ليس لي

هذا الشَّعر الذي لا يعرف أن يطول، ولا يعرف أن يقصر..

ليس لي كلّ (الأنا) التي كُنتها عن قصد أو عن غير قصد ليست لي، كلّ البيوت التي سكنتها كلّ الذين أحببتهم، وكلّ الذين أحبّهم ليسوا لي..

أنا أنتمي إلى اللآشيء

أنا أنتمي إلى كلّ ما لم أكن

إلى كلّ ما لا أعرف

أنا أنتمي إلى السّؤال، إلى اللاّ إجابة

إلى العدم الجّميل!

(٢٢)

شتاء ٢٠٠١٦

في القاهرة ..

لا خوف من حالة الطقس المزاجية..

لا خوف من طقس تشريني المزاج!

ليس هناك من ضرورة أن تستمع إلى ما تقوله التوقعات في الراديو قبل أن تبدأ يومك ..

أو أن تبحث في جريدتك الصباحية قبل خروجك إلى العمل..

لا أحد يكترث مثلك،

-أنت الذي لا تعرف أن تعيش يوما واحدا بتلقائية-

إلى ما تقوله التوقعات ..

الجميع محصن بجميع الأحوال من يوم رباعي الفصول!

على الطبيعة أن تمارس عاداتها بعفوية على مرأى من لا

توقعك!

إذ ماذا يتبقى إذا ما قيست الطبيعة!

(٢٣)

قررت السفر لمسقط رأسي، في مدينتي لا خوف من عابر الطريق! أسوار البيوت أقصر بكثير من قامة فضولك،علاقة اطمئنان متبادلة تجمعك مع من لا تعرف!

مع من لا يعرفك!

لن تفكر أن تسترق النظر إلى شيء ..

ستنسى أن تفكر باستراق النظر إلى شيء ..

إلا ربما حبات الليمون المعلقة على شجرة في منتصف الحديقة.. ليس لأنك لا تستطيع ..

بل لأنهم يحاربونك، بالاطمئنان إليك!

(٢٤)

تصلك الأخبار كسولة، تتثاءب في وجهك..

تمارس ساديتها المعتادة بأكبر قدر ممكن من المفاجأة كل مرة:

الإنسانية تنتحر!

يصلك هذا اللاجديد جديدا كل يوم ..

لا يختلف عن نفسه في شيء إلا في درجة أناقة القتيل!

تلوك الخبر بفك مرتخ وجسد دافئ ..

تلوك في طريقك غضب أصدقائك، لا مبالاتهم

إنسانيتهم المنتحرة، أو تلك التي في طريقها إلى الانتحار ..

لا يستوقفك شيء سوى جمال المذيعة، التي لا يعنيها من الخبر هي الأخرى شيئا سوى شهرته!

تكمل ارتشاف قهوتك على مهل، كأن شيئا لم يحدث..

كأن شيئا لن يحدث!

وتبتسم في وجه من تحب !

هكذا فقط تحاول أن تحافظ أطول وقت ممكن على الإنسان، على السلام فيك..

أنت، مشروع القاتل القتيل!

(٢٥)

حين ترحل ..

حاول ألا يكون لصباحاتك صوت فيروز

أغنية واحدة كفيلة بانتكاستك!

اجعل من صوت أحد آخر صباحك !

قم بشرب النسكافيه، بدلا من القهوة ..

سيصيبك الصداع..

ليس لأنك تحتاج إلى قهوتك، لا!

إن رأسك يحاول أن يثبت وجوده، ليس إلا!

حاول أن تخترع طقوسا جديدة ..

ستشبهك مع الوقت ..

أو، تشبهها!

لن تستطيع بأي شكل الاحتيال على منفاك ..

ساعي البريد لا يعرف بريدك المنتظر ..

لن يطعم الحمامات المخبأة في صندوق بريدك!

ازرع نوعا آخر غير الياسمين في حديقة دارك ..

لن يعرف المارّة المجهولون لماذا شجرة الياسمين بالذات!

(٢٦)

يكمن الجمالُ يا صديقي دائماً في التفاصيلِ الصغيرة

هل تعرفين سرّ جمال مدينتنا؟

في هذه المدينه ، لا أبراج شاهقة للحلم

لا شوارع مؤنقة بالكذب

ولا جسور تثقل كاهل جبالنا

مجرد شبّاكٌ مهترئٌ موارب لحبٍّ يتفتّق على خجل

أزقةٌ ضيقةٌ لا تتّسع إلا للبسطاء أمثالنا

كساءٌ مرقّعٌ بالحب، وطعامٌ مبلولٌ بماء المطرْ!

(٢٧)

هل تعلم يا صديقي

لا شيء يحدد من أنت !

لا المدينة التي عن طريق الصّدفة أنجبتك ..

لا الجينات التي ساهمت، عن طريق الصّدفة كذلك، بأن تبدو بالشّكل الذي أنت عليه اليوم

لا دينك الذي تتشدّق به، في الوقت الذي يتشدّق سواك بدينه

لا جسدك الموزون كقافية، أو الممتلئ بالحبّ

السّخرية، هي محاولة ترقيع ليس إلا، ترقيع لما ينقصك أنت، لا سواك

والحبّ والرّقي، هما محاولة استيعاب لكمّ الجمال بك وبمن حولك والكون!

(٢٨)

أنت الذي منذ زمنٍ لا تعرف بدايته، تحوّلتَ، دون أن تشارك في ذلك، إلى ماكينة إنسان، تتحرك وفق ما تمليه عليك احتياجاتٌ، تحتاج عمرا كيّ تعي أنها لم تكن يوما احتياجاتك، تحتاج عمرا كيّ تعي أنك ببساطةٍ لم تكن تحتاج إلى شيء سوى أن تكون لك ذكرى، ذكرى شوارعَ لا تعرف أسماءها، ولن يحدث أن تعرفها بعد اليوم، ذكرى أزقةٍ لا تعرف إلى أي حبّ كانت من الممكن أن تفضيَ بك، رائحة صابون الغار، فروقات لون الطّين بين ريفٍ وآخر، أنت ببساطة لا تحتاج إلاّ إلى تأريخ وطنٍ خاصٍّ بك، تقتات عليه حين يفرغ حاضرك، وتجوع!

(٢٩)

أنا لا أكتب، إنّما أمعن في القتل بطريقةٍ متحضّرة، أنا امرأةٌ أُخرى حين أكتُب، أمارس أشياءَ لا تشبهني في الحقيقة، لا أعداء

لي على أرض الواقع، ولكن الفكرة العدوّة، بالنسبة لي، هي أرقى حالات العداوة وأكثرها تحضّرا، وحين تُكتب فإنني أنتقم لنفسي من الكثير دون أن أؤذي أحدا، لا أحد يستحقّ أن يؤذى في الحقيقة، حتى أولئك الذين يكيدون لك لأسباب لا تتعلّق بك!

(٣٠)

قررت أن لا أنجب طفلا، لأنّ الطّفولة هي ما تعنيني، بينما الإنجاب يعني الأمومة، والأمومة والطّفولة ليسا امتدادا، ليسا امتدادا أبدا، بل كيانين منفصلين تماما، ما أن أنجب حتّى أتحول إلى أمّ، ويتحوّل طفلي إلى أداة لممارسة هذه الأمومة بعيدا تماما عن الطّفولة، إذ ما نراه في الطّفولة أمومتنا أكثر من أيّ شيء آخر.

لا أريد لكائن من كان أن يعيش تحت ظلّي، بل تحت الشّمس، كما يليق به أن يعيش، وكما يليق بيَ أن يعيش، وأخاف كلّ الخوف ألاّ أفعل، أخاف أن أحسب أن ظلّي المريح أكثر أمانا من الشّمس الحارقة، وهو ليس كذلك أبدا.

قد لا تفهمني أبدا، ولكن رغبتي بألاّ أنجب طفلا، هي في الوقت ذاته رغبة ملحّة جدا بأن أفعل.

(٣١)

لا يهمّ عدد المرّات التي حاولت أن تتخلّص بها من رائحة

الأشياء في ذاكرتك، تلك التي لم تعد صالحة للحياة، والتي لا تمتلك سوى قيمتها المادية بالنسبة إلى سواك، إذ تستطيع هذه الأشياء على غفلة منك أن تمارس رائحتها القديمة الخاصّة في مجّرد صورة، الرائحة التي مرّت بك يوما دون أن تمتلك هذه القداسة وتمعن في إيلامك!

(٣٢)

ليس للسّعادة الحقيقية شروط أبدا، إذ أنّ السّعادة لا تتعلق بالظّرف قدر تعلّقها بالشخص نفسه، بأسلوب تفكيره، أسلوب تعاطيه مع الأمور، أسلوب تعامله معها، أسلوب تكيّفه مع الحياة حلوها ومرّها.

على الإنسان أن يعرف كيف يخلق السّعادة، كيف يمكن أن تُخلق هذه السعادة من لا شيء تماما، أن يبحث عنها في نفسه بدلا من أن يبحث عنها فيما حوله وفيمن حوله، إنّ ما حول الإنسان متغيّر دائما وأبدا، والإنسان أكبر من يتغيّر بسبب ما حوله، عليه أن يكون سبب سعادة نفسه، أن يكون فخورا بتجربته الخاصة في الحياة، إذ ليست هناك تجربة ناجحة وتجربة فاشلة، بل هناك تجربة فحسب، وعلى هذه التّجربة أن تُعاش بالشّكل الصحيح، بالفلسفة الصحيحة!

(٣٣)

تعال،

تعال أخبرك عن الأشياء التي لا تحدث أبدا،

كأن لا أكتب مثلا،

كأن لا أعترف أنّي أخاف أن أفعل،

كأن لا أعرف إن كان عليّ أن أفعل ذلك، أصلا!

تعال أخبرك عن الكلمة كيف تتفتّق بين صمتين،

عن الكمائن المنصوبة في الأحاديث التي لا تُقال، وتُكتب!

تعال أخبرك عن الأشياء التي لا تحدث إلاّ في الكتابة!

(٣٤)

جيّد جدا أننا التقينا هنا، هنا تماما في هذا الزّمان

هذا الصباح الممطر أخبرك إنني

أحبّ رائحة المطر، الطّين، الورق،

أرقص في حالتين فقط: حين أكتب، أو أحب!

قررت منذ زمن أن أكون سعيدة!

الاستغناء قرار، ولديّ قدرة على الاستغناء عن أقربهم متى تطلّب الأمر، دون أن يترك ذلك أثرا يُذكر!

حياتي كتاب مفتوح، وماما كانت تؤمن بالجّان وأن صراحتي ستجعل كائنا شيطانيّا ما يؤذيني!

أمتلك نقطة ضعف واحدة فقط، عائلتي، أقدس ما أملك على الإطلاق!

على تصالح مع نفسي والآخر، ليس لديّ أدنى استعداد أن أرفع صوتي، وأبتعد عن المجادلة قدر الإمكان!

أؤمن أنّي سأكون عجوزاً متعبة!

(٣٥)

هل تعرف، لا أعتقد أني أحببتك يوما، بل أؤمن أنّي لم أفعل، الحبّ بالنسبة لي مجرد فعلٍ بدائيّ لا أكثر، مشاعر بدائيّة لا أكثر، أحبّني رجال كثر، وأنا أنثى لا يعنيها أن تمارس الحبّ، بل تريد ما هو أبعد من ذلك، ما هو أعمق من ذلك!

(٣٦)

لماذا يا صديقي في بلادنا، نُربَّى على الخوف.

تعلم ..عندما كنت صغيرة، قيل لي ان شربت القهوة سيُنْبِت

لك شاربا، وهكذا صار بيني وبين القهوة سوء فهم، بالحقيقة، كان سوء الفهم كبيرا لدرجة أنني جرؤت على تعلم إعدادها، ولم اجرؤ على شربها.

لن أصف صوت تحطم جدار الخوف، عندما اكتشفت أن القهوة ليست وصفة لانبات شوارب لأحد، وإنه لا بأس أبداً بأن يكون لي شارب، فحاجاتنا مربكة .

حتى اليوم، كلما شربت القهوة، أشعر أنني أسير على قطع الزجاج، وأسمع صوت فحيحها، أشعر بالقهر لأن الزجاج الذي تكسر منذ حملت المطرقة، لم يستطع أن يملأ الشوارع الفارغة في طفولة مشوهة، ولأنه صار على أن أبحث عن وصفة أخرى لينبت لي شارب يتحدى فكرة الخوف وأشباحها الكثيرة.

(٣٧)

الأيام تجري بسرعة في هذا المكان

والوقت لا يسعفني لوداع طائر الشمس الذي يغرد على شرفة المعنى، ولا لانتبه إلى سرب النمل السائر إلى حصته من الله، الوقت لا يسعفني لأقول لكل الأشياء الصغيرة في الحياة كم أحبها ، كم ربحت حين كنت افتح عيني على تمتمة الدم في عروقي أو نمنمة الأصابع في خطوتي الأولى، ووعد الحلم أن

نلتقي في ليلة لاحقة، الوقت لا يسعفني لأتـذكر لحنـا صـغيرا، أو اسم أغنية كالعطر، تحفظها الخلايـا، الوقـت لا يسـعفني لأقـول لأحدهم سأذهب غدا في رحلة خاطفـة، لكنـه يسـعفني لأقـول، شكراً.

(٣٨)

طويل هذا الليل، مثل معطف الوالدة السـكني الـذي ارتديتـه مرات، لتنجو من فكرة البرد القاتلة، اكمامه الطويلـة ذات الازرار الجميلة الباهته، نجمتان تعبثان بمساحات من الرماد، زنـاره نهـر من الورد المريض، وحوافه ترتفع قليلا عن ارض الدهشة، طويل وواسع هذا الليل، مثل بطانة غامقة للاضرحة.

المعطـف السـكني، هـل تـذكره ، كـان طويـل جـدا، وكنـت تضحك، أحببت ضحكتك دائما وكرهت البرد كثيرا. ضـحتكك ارتبطت دوما بلون حياتنا الحيادي،

كم أمسكت يدك بيدي، كم وضعت قلبـي في يـدك، ولوحـت لك كنجمة عالية حين كنت ارغب دومـا بـالكلام، كنـت كمنجـة احيانـا، ومزمـار الراعـي الحـزين، اعتـدت ان تتـرك سـماءك، لتشاركني تراب المسافات الطويلة، انت ترتدي معطفـا سـكنيا عمره ثلاثون سنه، وانا أرتدي ابتسامة سـاحرة. كنـت تضـحك

مثل شمعه، وكنت اغرف الضوء من مائدة روحك كالجائعين.

طويل هذا المعطف، حيادي لونه ومائع، لم أقل لك إنني أكـره هذا اللون، ربما قلت لك ذلـك، لكنـك لم تعـرف لمـاذا، والآن، يجب أن تعرف ....

لماذا؟ لا أدري لم؟ انت تعرف الكثير من الاشياء التي لا لـزوم لها والتي تلزم معرفتها، ولم تشتكي يوما، لا من ثقل المعرفـة، ولا مـن غيـاب العـالم، ربمـا ان كـل مـا هنـاك إننـي أرغـب بـأن استكمل حوارا ماتعاً معك، كما في كل مـرة، وأن أقـول كـل مـا أريد، كما في كل مرة، وإن تسمعني طـويلا وبهـدوء، كمـا في كـل مرة.

كلما ارتديت المعطف الرمادي، غاصت يدك في جمر روحـي، تحمل حرقا جديدا، وأحمل جرحا جديدا، لكنك لم تقول لي يومـا، متى سترتدي المعطف السكني، دون أن تبـدأ دمعـة سلسـة مثـل عشـبة خضـراء بالجريـان، ودون أن يقـود حوارنـا إلى الصـمت الطويل.

(٣٩)

اليوم التقيت صديقتي الصديقة الجميلـة التـي تـتقن صـناعة خرائط فلكية، بعيدا عن الآراء الرافضة وتلـك التـي تقبـل بفكـرة

تأثير النجوم على حيواتنا، ومقدار ذاك التأثير مقابل التأثير المباشر لمصادر البؤس التي تحيط بنا، وهؤلاء المجانين الـذين يغيـرون قرارات النجوم بإرهابهم وأمراضهم النفسية.

هل تقول النجوم كل شيء، حقا؟ ألا نعرف من نحن حقـاً، أم أننا بحاجة إلى نصـف الكـأس الـذي تهمـس بـه النجـوم، نصـف الكأس الايجابي غالبا عن قوة الشخصية والفرادة والتميز وفكـرة الانتظار، انتظار مستقبل أجمل، لنحتمل الحياة أو لنحتمل أنفسـنا، هل يدخل الأمر في اطار ما يمكـن تسـميته المـورفين المعـرفي أو المعرفة المخدرة؟

اسأل، هل نحن فعلا قادرون على مواجهة ذواتنـا، ومـن نحـن فعلا، وتلك الصفات السلبية التي تشكلنا، هل نحتمل ملاحظات الآخرين التي لا نحب عنا؛ والتي يقولها أحدهم بـدافع الاهتمـام والحب ونفهمها على أنها نقد؟

الأسئلة كثيرة، ومخيفة.. يا صديقي

(٤٠)

كلما نظرت في المرآة تساءلت، كيف أعرف أن هذا الوجه لي؟

كيف أعرف أن لوحاً صنعته يداي، صادق، لا يكذب علي!

هكذا أنا، أزرع الشجرة وتقع عليّ

أعصر الغيمة وأغرق في نهر الطين

أجدل ضفائري وتلتف عليَ

هل هذا الوجه لي، هل صورتي تدل علي، وتبني ممالك من جموح في الوجه البرئ، ماذا تقول المرايا لداخلي البرئ؟

المرايا لعبة الضوء

ربما لم أكن هناك

لكن بي حاجة كي أصدق ما أرى، فأنا منذ حاولت أن أرسمني، خسرت يدي.

(٤١)

في المرة الأولى، يدفعني الحزن إلى الزاوية، يجلسني على كرسي العقاب، ويبتسم .

في المرة الثانية، أعرف الطريق وحدي، أجلس، وابتسم، ويعجبني الجلوس على الكرسي، هكذا أحجز مكان العقاب وحدي، لا شريك لي، لا شريك، ولا عقاب من جديد .

على الحائط، بجانب ذلك الكرسي، كتب الكثير من أطفال الحياة أحلامهم وخوفهم وجنونهم واعتذاراتهم عن الفرح الجميل.

الآن احجز المكان وحدي، لا شريك لي، لا شريك!!

كلما قـرأت سـطرا لفيرجينيـا وولـف، مـثلاً، تمتلـئ جيـوبي بالحجارة، وأغرق، ماذا تفعل بي الكلمات؟

أجلس على كرسي صغير بحجم العالم، والحزن سمسـار لئـيم ينتظر خلو المكان.

(٤٢)

الأنثى لا تنسى رجـلًا أحبتـه، فهـل تتصـور يـا صـديقي أنهـا ستحب من جديد وبهذه السهولة، ما زالت ترهبهـا فكـرة الحـب واسم حبيبها ما زال يربكها، رغم الوقـت كـل تلـكَ الليـالي التـي مرت لم تزدها سوى إيمانًا بعدم إمكانية النسيان، كل تلـك الليـالي التي انتظرت فيها فجرًا جديداً، لم تحمل في طياتهـا سـوى وعـودًا منكوثة بأن تنساه غدًا أو بعد غدٍ، أو أن تحبه يوما آخر فقط أو على الأقل أن تبقى على الذكرى ما تيسر من عمر الألم، وأن تبقى رهينة الماضي بكل مـا يحملـه مـن مشـاعر فيهـا طـابع الحـب الأول، واللهفـة الأولى، والنظـرة والشـوق، والمكـان والزمـان، أشـياءه الصغيرة ترفض أن تتكرر بعمرها ثانية، حتى بحـة صـوته سـتبقى كما الروح والجسد، هي حائرة في أمرها، لا تعلـم إن كـان سـيأتي يومٌ تحب رجلًا آخر أم لا.. هـو الآن عـالق في عينيهـا كفضـيحة، متشبث بأحرفها و مسامها وجدائلها يشاركها أقصى ثوانيها سـرية

وإنطواءً؛ كلما أضاء هاتفها قالت هوَ، لقد بدت قويةً حين قالت له لحظة فراق: «اذهب فلن تتوقف الحياة بعدك». في الحقيقة هيَ من توقفت عن الحياة، خرجت من ميدان السباق، بعيداً عن كل تلك الأرواح المنخرطة في الحب المنعجنة والمتلونة بالشوق والوجد.

الأمرُ ليس بسيطًا يا صديقي كما كان يظنه ذلك الأحمق .. وليس سهلًا أيضًا لتتم ترجمته كحرف.

(٤٣)

-يعيش الإنسان يا صديقي كيّ يقوم بالكثير من الأمور التّافهة، بينما يعتقد أنه يقوم بالكثير من الأمور العظيمة، بل إنّ أكثر الأمور عظمة في نظره، هي أكثرها تفها وسخافة، ولا بدّ أنه يحتاج عمرا كيّ يعي ذلك، عمرا لا شكّ يقاس بالعمق وليس بالطّول، وهذه ليست عدميّة أبدا - إن كنت تعتقد ذلك - على العكس تماما، هذا أكثر ما كتبته إليك عمقا على الإطلاق، ولكن لا يمنع ذلك من أنه الأكثر سخفا كذلك.

مثلا، أكتب إليك الآن بينما أعتقد أني أفعل شيئا عظيما، وربّما هو أسخف ما قمت وأقوم به على الإطلاق، ومع ذلك هذا التواطؤ الغريب بين العظمة والسّخافة هو ما يجعلني أكتب إليك، أن تكون على سجيّتك تماما، أن تهب كلّ ما فيك إلى اللاشيء، إلى

اللاأحد، هو سخافة عظيمة، بشكل ما!

-هذه هي المعادلة، تكبر أنت بينما يأخذ كلّ شيء في الصّغر، لا تحتاج أن تبقى صغيرا كيّ تبقى بصحّة جيّدة، ستكتشف لاحقا أنّ الأمر لا يتعلّق بكون صحّتك جيّدة أم لا أبدا، بل تحتاج أن تبقى صغيرا كيّ يحافظ كلّ شيء على عظمته، على الكِبَر فيه، هل تفهمني؟ ستتقلّص قائمة أصدقائك، ستكفّ عن الحاجة إلى الآخرين، ستصبح لديك القدرة على الاستغناء، ستتخلّى، ستقوم بتسخيف الكثير، الكثير ممّا كان عظيما وعميقا حتّى اللاّنهاية، وستسمّي ذلك نضجا يا صديقي!

(٤٤)

يزن .

أنجبت أختي طفلاً اسمه «يزن».

«يزن »، دون أن يكون له اسمٌ على وجه التحديد، دون أن يكون له اسم انتماء، اسم هوية هو الاسم الكلّ، بلا تهمة واضحة تماما.. بلا حقد واضح تماما «يزن»، كما عليه أن يكون فحسب!

رائحة يزن جميلة عندما حملته أول مرة

هي ليست رائحة «البيبي جونسون» أو «البيبي باودر»

هي الرائحة الاستثناء التي لا كيمياء لها

هي «رائحة يزن »، فحسب !

أغمر وجهي بين وجه يزن ورقبته الدافئة

هو يغفو، وأنا أسكر ..

ولا أعرف: هل أنا من أقوم باحتضان يزن؟

أم يزن من يقوم باحتضاني؟

(٤٥)

القاهرة

لم يكن إقناع صاحب المنزل الذي قمت بتأجيره أمراً سهلاً إذ يعتمد التأجير علي شروط كثيرة، ولكن نجح الأمر بطريقة ما. هو بيت جميل، دافئ يشبهني، ولكنه أكبر قليلاً، إذ أن هناك غرفتين فارغتين تماماً إلا من بعض «الكراكيب»، هل تعرف أن «الكراكيب» تبعث الدفء في الغرف الفارغة يا صديقي؟ لذا أنا حريصة جدا على ترك هذه الغرف تماما كما هي، دون توضيب، أملؤها بالحقائب الفارغة والكراتين، وأشياء أخرى لا أتكلف جهداً بالبحث لها عن مكان أكثر مناسبة، كل الأماكن مناسبة حين تكون مشغولا بتوضيب ذاكرتك، بتوضيب ما هو أكبر وأكثر من مجرد «كركبة»، التفاصيل التي تستيقظ وتتثاءب في وجهك كلّ يوم، ماضيك الذي لم يمرّ الوقت الكافي بعد كيّ تعي متى وكيف

قد أصبح ماضيا.

تشتاق إلى الأمكنة القديمة، ولكنك لا تشتاق إليها بقدر اشتياقك إلى ما تفتّق فيك في تلك الأمكنة، أنت لا تريد سوى أن تستعيد حقّك في امتلاك اللحظة مرة أخرى، إثبات حقك بامتلاك ما لم يعد، لسبب أو لآخر، ملكا لك بعد رحيلك، في إعادة ما لم يعد باستطاعتك بعد اليوم إعادته .!

تعرفت علي جيران كبار في السن، رجل المنزل صرت اسميه «الكورن فليكسيّ» العجيب، إذ لم يكن يأكل غالبا سوى الكورن فليكس، وحين يسأم من نوع فإنه يقوم بتغييره إلى آخر، هكذا كانت معظم وجباته، وحين يقرر يوما ما أن يأكل شيئا من صنع يد زوجته، فإنه يطلب طبخة تكفي أربعة أشخاص على الأقل، يأكل منه مرة واحدة فقط ويطلب منها أن تقوم بتخزين الباقي في الثلاجة دون تغليف، ثم يقوم برميه بعد يومين، بعد أن تجف وتنتهي في القمامة.

يسألني ما الذي أتى بك هنا وحيدة..أخبره بوفاة أمي

يصمت وأصمت انا.

هل تتخيل معي معنى أن لا يعود هناك مكان آخر يضم أمي معي يا صديقي!؟.

(٤٦)

لقد مللت من السلبية الموجودة بحياتنا، و العدوى السلبية عندما تنتقل لنا تسبب لنا الخوف والحذر.

أشعر بالغثيان المستمر !

لم يعرف أحد سبب هذه المشكلة المستمرة التي تحدث معي حتى الآن !

أخذت الكثير من العلاجات والأدوية الطبية التي وصفها لي الطبيب، ولم أشعر بأي تحسن ربما الأمر يزيد سوءاً !

لكن أظن الآن أني توصلت إلى نتيجة مضمونة ربما من تكرار الشيء..

كنت أحلم يوماً ما أن أصبح طبيبة نفسية فقط لأواجه هؤلاء الأشخاص الذين يعانون من مرض نفسي ما!

ربما هم ليسوا مرضى بالنسبةِ لي.. هم اكثر وعياً ونضجاً من الأشخاص الطبيعيين الذين نواجههم في حياتنا اليومية. ربما اصبحوا مرضى لمواجهة هؤلاء الأشخاص الذين هم بنظر الجميع طبيعيين..البعض منهم يصل لدرجة الجنون، الأمر ليس غريباً جداً طبيعي في عالم كهذا وبين أشخاص كهذه!

أشخاص لا تعرف معنـى الحيـاة ووجودهـا هـدر أوكسـجين فقط!

أنا أخاف الحب في هذا العالم .

أخاف الأشخاص، أخاف الأماكن !

أخاف الحب في مكان لا يشبه الحب

أخاف الأشخاص الذين يجعلونني في متاهة وحيرة !

أشخاص مزاجية، أشخاص تعشق التصـنع والمظـاهر وابـراز النفس على الغير ..

أشخاص لـديها وجـوه كثيـرة، لا وجهـين بـل آلاف الوجـوه وأكثر !

هذا النوع من الأشخاص يجعلني أشعر برغبة في التقيؤ!

أخاف مما هو مخبأ لي في اليوم التالي، أخـاف مـن المجهـول، أخاف اللقاءات الاولى !

أخاف المكان الـذي لا يشـبهني وأشـعر بـأني تائهـة وضـائعة كطفلة، البعض يرى غموضـي قـاتلاً، ولسـت مفهومـة في بعـض الأوقات.

نعـم غامضـة وأنـا أعشـق غموضـي في هـذا العـالم الغـامض

المشوش المريض.. فكيف لي أن أكون واضحة بـين كميـة هائلـة من الغموض!

لا أحد يستحق أن يتعرف على الحقيقة،

فالحقيقة هي أجمل من أن تظهر !

حين تصبح الأفكـار والتجـارب والأحـداث كثيـرة.. يصـبح التفكير في حالة شلل! مقعد وعاجز عن أي شيء.

(٤٧)

صحوت علي صوت عويل وصياح.. ابن جارنا مات شهيداً

جاء خبر موته وقحاً، ككلّ الأخبار الأخرى ..

ككلّ أخبار هذا الوطن التي نتناولها بين وجبـة وأخـرى بينمـا نمضـغ خيباتنـا. إن وطنـاً يعـيش داخـل مقبـرة لـيس وطنـاً يـا صديقي..

إن وطناً ندقّ أبوابه فيفتح لنا مقابره لا يشبه الوطن في شيء ..

لا يشبهه في شيء!

لماذا آمنت بهذا الوطن الذي لا يعرف حين يمارس الحب إلا أن يبتلع أبناءه؟

لماذا آمنت به لهذه الدرجة، لدرجة الموت.

....

(٤٨)

هذا الصباح في المطبخ..

أحلى شيء أثناء عمل كيكة، أن تخلط المكونات بيدك، وتكون بحالة حزن أنك سوف تغسل يديك وهي ملطخة بالشوكولا!

وأيضاً بعمل سلطة البنجر، تتلون يدك بلون البنجر في أثناء تقطيعه بعد السلق، وأردد لن يضر.. لن يضر ..

و الأرز بالحليب، ينحرق قليلاً بأسفل الطنجرة، وتمسك ملعقة وتبدأ بأكل ما بأسفل الطنجرة ويكون شهياً من كل ما في الأعلى.

(٤٩)

إحدى صديقاتي التقيتها وهي تقوم بعمل إحصائية معينة عن العلاقات أخبرتها الآتي ..

على العلاقة أن تمارس بحب دون أن يؤدي هذا الحب إلى أذية الآخر، يحدث أحياناً أن يكون الحب فعل أذية حين نحاول سرقة

الآخر حتى من نفسه، بحجة الحب والاهتمام والغيرة نطالب الآخر بما نعتقد أنه من حقنا تماما؛ في الوقت الذي ننسى أنه حتى المشاعر الجميلة حين تمارس بشكل مبالغ به تتحول إلى مشاعر مؤذية هدامة على المدى الطويل! .. حين نرتبط مع الآخر بعلاقة حب، علينا أن نعي أن علاقة الحب الصحية للطرفين هي العلاقة التي تسمح بأن يمارس هذان الطرفان أنفسهما تماما، هي العلاقة التي تسمح بأن يمتدا في الاتجاه الذي يرغب كل منهما فيه على حدة من ناحية، والاتجاه الذي يرغبان به معا من ناحية أخرى !

على العلاقة ألا تكون مبنية على مشاعر سطحية، بل على فكر مشترك ومبادئ مشتركة تنتج عنهما عاطفة جميلة ذات عمق، وبعيدة كل البعد عن المشاعر المراهقة التي تحمل تاريخ صلاحية معين. الرجل الناضج والمرأة الناضجة يعرفان ماذا تعني العلاقة الناضجة، المسؤولية التي أتحملها لا أتحملها لأني أريد أن أثبت شيئا للطرف الآخر ولا لأني أنتظر منه أن يفعل المثل، بل أتحملها لأنها تشبهني أكثر من أي شيء آخر، الرجل الناضج سيعرف كيف يقرأ ذلك تماما، وسيعرف أن يفعل المثل ليس لأن عليه فعل المثل بل لأن ذلك جزء من شخصيته كذلك، حين لا يقدر الآخر ذلك بأي شكل من الأشكال كأن يمل أو يخون أو نحو ذلك، فهذا جزء من شخصيته كذلك قبل أن يتعلق الملل أو الخيانة بنوعية العلاقة وقبل أي شيء آخر!

(٥٠)

الأيام تجري بسرعة في هذا المكان..

والوقت لا يسعفني لوداع طائر الشمس الذي يغرد على شرفة المعنى، ولا لانتبه إلى سرب النمل الـ يمشي إلى حصته من الله، الوقت لا يسعفني لأقول لكل الأشياء الصغيرة في الحياة كم أحبها، كم ربحت حين كنت أفتح عيني على تمتمة الدم في عروقي أو نمنمة الأصابع في خطوتي الأولى، ووعد الحلم أن نلتقي في ليلة لاحقة، الوقت لا يسعفني لأتذكر لحناً صغيراً، او اسم أغنية كالعطر، تحفظها الخلايا، الوقت لا يسعفني لأقول لأحدهم سأذهب غداً في رحلة خاطفة، لكنه يسعفني لأقول، شكراً

(٥١)

أنا حزينة يا صديقي على أنثى القرن الواحد والعشرين، لأنها تعيش تشوّها لا يُوصف؛ إذ ترى أنها من المستحيل أن تعود أنثى التقاليد، ومن الصعب أن تتجاوزها في الوقت نفسه، فتعيش حالة وسطية بين شخصيتين، ما يجعلها أنثى مشوّهة بمعنى الكلمة دون أن تعي ذلك، أو ربما هي تعي ذلك تماما وتمارس تشوّهها بخبث بما يعود عليها بجمالية من نوع ما؛ فترفع جوكر التقاليد حين تكون الأمور في صالحها، وترفع جوكر التحرر حين تكون الأمور في صالحها من ناحية أخرى، وهكذا فهي تقوم بتعريف

الأمـور دائمـا بتعـريفين إثنـين، وبـدلاً مـن أن تأخـذ بالنضـج والمسؤولية، تأخذ للأسف بالسّطحية والانحدار.

(٥٢)

هل تعلـم لقـد أدركـت أن الكبـار مضـلِلون، ببغـاوات تنشـد الأمان في الوهم، هكذا يمكن أن تحيا أجيـال كاملـة دون سـؤال، ودون إمكانية تجريبٍ لجديد أو نفي لفكـرة قاتمـة؟ لم أحـاول أن أنقذ نفسي من التكرار، ومن فكرة التقليد البائسة لما تعلمناه وما ورثنـاه مـن أفكـار، ومـن الوقـت الـذي يمضـي بـلا اسـتثمار لقوة الشك، وبلا معرفة لمعنـى الدهشـة. ورغـم أن الأمـر كـان واضحا، إذ كان عليّ أن أسال، وأن أخضع كـل مقـدس للسـؤال، لكنني خشيت دوما انهيار شلال الفضة المعلـق في عنـق الوقـت. الخوف من السؤال ذنب عظيم، نقترفـه مـراراً ولا نتـوب عنـه أو نستتاب .

ماذا لو؟ ليست مدخلاً للتشكيك بقدر ما هي دعوة للتفكير .

لو قال كل واحد منا عن ما يواجهه، هذا صحيح، لكـن مـاذا لو يكن كذلك؟ في البداية سـيكون الأمـر مخيفـا، يمكـن بسـؤال واحد أن تنسف قبيلة ممن تكلموا بالنيابة عنك، وممن قرروا دون مشورتك كل ما يتعلق بك حتى طريقة كلامك وشكل ملابسـك، ورد فعلك تجاه الأشخاص والمواضيع المختلفة؟

ماذا لو كان يمكن أن نبدأ بداية جديدة، وأن نتعلم بأنفسنا حياتنا الواحدة، وأن نخطئ ونصيب، كما تفرض علينا التجربة .

ماذا لو سمعنا ما يقوله الآخرون حتى النهاية، ونتعلم احترام خياراتهم وثقافتهم وفكرهم وجرأتهم. عادةً ما يملك الملقَنون تلك القدرة العالية على الرفض لأي شيء لا يشبههم، ولكنهم لم يمّلوا من كونهم نسخة لذات الشيء الذي لم يصنعوه. كلما ازدّاد معادل الرفض للجديد، كلما تمكنت من قياس درجة انغلاق المتكلم وأحادية تفكيره وصمته.

في سرك؛ جرب: ماذا لو؟ واطرد الخوف الى زاوية قصية في الغرفة، وأزجرُّه بغضب، ودعه يجوع. كلما جاع خوفك، استكان لك، وربما صار طوق نجاة.

(٥٣)

أقول دائماً يا صديقي

إذا لم تصنع شغفك لا يمكنك إبصارُ هذه الحياة واستشعار جمالها .. وإذا لم تجده في أي شيء فهو في كلّ شيء !

أنت كالقلب يضخّ الدم لجميع الأعضاء.. ولكن لا يضخّ إليه شيء، سرّ بقائك على قيد الحياة -كما القلب- هو في الضخّ لا في الاستقبال !

ولذا عليك أن تعيَ هذا جيداً .. ربّما تفكر أكثر من اللازم وتفكيرك يبقيك بعيداً عن العمل .. وربّما تحبّ الخيال أكثر من الواقع.. ولكن، أليس فيك شغفٌ ما.. ستجده يوماً عندما تنسى أنّك لم تجده بعد، وتثقل كاهلك بالتفكير فيه..

ستدركه يا عزيزي عندما تدع الثّانية في يومك تحدّث عقلك وروحك .. وتقول لك: اِنظر! ماذا يمكنك أن تصنع هنا .. !

فإن أجاب عقلك أوّلاً وسكتت روحك، فأنت تفكر.. دعك منه!

وإن أجابت روحك وسكت عقلك، فأنت تحلم ..دعك منها !

ولكن إن أجاب الإثنان معاً..هنا توقّف قليلاً وأخشع لهذه اللحظة الرائعة: لحظة الشغف ونبض الفكرة.

(٥٤)

يقاس عمرك بعدد الخطوط الدقيقة في وجه أمك الجميل ..

الخطوط الدقيقة التي تكتشف مع الوقت أنك تطالب بها كما هي، بعيدة تماما عن كل مبضع تجميلي، الوحيدة الباقية التي تحمل ذاكرة عمر بأكمله، لا أحد سواك يعرفه!

سيمرّ بك العمر، وفي الوقت الذي يطالب به الجميع أن تكبر،

بمن فيهم أنت..

لن يعترف أحد بطفولتك التي لا تكبر أبداً، سوى كائنك المقدس الوحيد، أمك!

......

كل عام وأمك بخير.

(٥٥)

لقد كنت أعرف رجلاً مات من الضحك، أتدري حين سمعت بخبر موت هذا الرجل للمرّة الأولى، ضحكت، ثم كلما حاولت أن أصمت وأعطي الرجل حقه من الاحترام الذي يستحقه، وجدت في موته دعوة جديدة للسخرية، فأضحك أكثر، إلى أن أختفى وبُحّ صوتي تماما، فتوقفت خشية أن أموت أنا الأخرى، ثم بكيته .!

هو الذي كان يقول في نهاية كل حديث له: «الحياة حياة»، بمعنى أنها لن تتحول إلى أخرى مهما حاولنا ذلك بالبكاء، فلم نبكي من أمر نستطيع أن نجعله مدعاة للسخرية والضحك، ومناسبة لائقة ودعوة متجددة للعب الورق والشطرنج.!

لا أعرف موتا روائيا أكثر قداسة من موته، رجل لم يعرف أن يموت إلا ضحكاً من الحياة أو الموت، أو ربما من الحياة

والموت معاً.

(٥٦)

نحتاج أحيانا أن نغضب، أن نخرج أسوأ ما فينا، أن نضع كلّ شيء في مكانه المناسب والصحيح، ولكنك ببساطة لا نفعل، و أحياناً نحب أن نتلقى الضربة الأولى، أن ينزف منا بعض الدم أولاً، إنه ليؤجج الصبر ويوقد العزيمة ويقرب البعيد ويوطن النفس على الطلب، ويزيح روادع التنمر والإشفاق و التردد.

ونعرف تماما أننا لن نفعل أبدا، ليس لأننا لا نستطيع، بل لأنه ليس الدّور الذي يليق بنا؛ ليس كمكانة، بل كوعي ومسؤولية، فلا تصرخ في وجه مديرك مثلاً، بل تكتفي أن تبتسم وتحزن من أجله.

أتعلَّم يجب أن لا نحقد على أحد، بل نصلّي من أجلهم جميعا، ونصلّي لجميع الآلهة التي يؤمنون بها، ونشعر بالاكتفاء!

(٥٧)

لقد مللت من سماع المواعظ التي تتحدث عن الغفران والتسامح كشرط ضروري للارتقاء.

لم أكن أشعر بأني استطيع أن أغفر لمن أساء ويسيء لي، لأني كنت على قناعة دائمة بأني لا أستحق الإساءة، وبالتالي فتسامحي مع المسيئين لي لن يكون أبداً نابعاً عن قناعتي بضرورة التسامح،

بل هو مجرد نفاق لا أحب أن أوصف به، ولـذلك بقيـت مسـتاءة على الدوام بل وحاقدة على كل من يسيء لي، إلى أن أدركت اليـوم أن الإساءة التي تصدر من بعض الأشخاص تجـاهي -مـع ثقتـي الشديدة بأني لا أستحق ذلك منهم- هي أمرٌ لا يجـب أن يعنينـي، أو بالأحرى لا يجب أن يعنيني أكثر من المسيء نفسه، فالظالم هو الذي عليه أن يستاء من ظلمه لغيـره مـن النـاس، لأن وصـوله إلى ارتكاب الظلم و الإساءة بحق من لا يستحق؛ يدل على أنـه يعـاني من أزمة حقيقية تسـتحق الشـفقة والمسـاعدة، بـدلاً مـن العـداء والمواجهة.

انتبهت اليوم أن من يتصرف تجاهي بحقدٍ في الوقت الذي لم يرَ مني ما يبرر تصرفاته، هو شخص بائس له عقلية مريضة لسبب أو لآخر، ربما لو عرفنا ما الذي سبب لديه تلك الحالة لأشفقنا عليه أكثر مما غضبنا منه.

اليوم بتُّ أرى المسيء شخصاً جـاهلاً، يقبـع في مسـتنقع مـن الأفكار النتنة، ويجمع حوله بعض المرضى الذين يتشاركون معه البؤس بشكل أو بآخر، فكيف لنا ونحن ندرك أنهم يقطنـون هـذه البيئة العفنة أن نتوقع منهم طيباً ومسكاً وريحاناً!

من يعلم أن فاقد الشيء لا يعطيه، لن يطمـح بمناقشـة منطقيـة مع من لا يجد ضيراً من جمع الأفكار المتناقضة في رأسه والقبـول

بها؟

فعندما يقول لك شخص ما «أن فلاناً كذوب والجميع يعلم بذلك» و يأتي هو متهماً إياك بتهمة سمِعها على لسان ذلك الذي يعلم يقيناً أنه كذوب، ومن ثم يناصبك العداء حتى بعد أن يكتشف مجدداً، أن هذه التهمة ما هي إلا كذبة جديدة من أكاذيب ذلك الكاذب المشهور، حينها تدرك أنك تقف أمام حالة مرضية تستحق الرثاء بل البكاء حزناً عليه!

إننا حقاً نطلب الكثير من هؤلاء الأشخاص، علينا أن ندرك أن الجدال المنطقي الأخلاقي معهم هو أمر مرهق لهم، لأنهم لا يمتلكون القدرة على ذلك، ومرهق لنا إن كنا نتوقع أن يكونوا على نفس المستوى الذي نخاطبهم به ومنه.

الأمر أشبه بالحديث مع طفل في الرابعة من عمره حول مشكلة الاحتباس الحراري وتأثيره على البيئة، ومسؤولية ذلك الطفل عن هذه الظاهرة الآن وفي المستقبل. صحيح أن هذا الطفل قد يسهم بشكل مباشر أو غير مباشر ولو بجزء ضئيل جداً في هذه المشكلة العالمية، ولكنه ببساطة غير مؤهل لإدراك ذلك الآن، علينا أن نشرح له الكثير وعليه أن يتعلم الكثير قبل أن يصبح جاهزاً لمناقشة هكذا مواضيع.

اليوم أشعر بميل للتعاطف واستعداد للغفران لكل المسيئين

لي، فأنا قادرة على استيعاب محدودية تفكيرهم؛ وما يترتب على تلك المحدودية. بينما هم غير قادرين على استيعاب المبادئ التي أحملها ولا الأدوات التي أملكها، هم كالكِتاب المفتوح بالنسبة لي، وأنا كالغيب المرعب بالنسبة لهم، لذا سأتفهمهم، فالإنسان عدو ما يجهل، وهم لم يعودوا مجهولين بالنسبة لي، وبالتالي ليسوا أعداء لي بعد اليوم. أما أنا فإن الأخلاق العالية التي أتحلى بها، والمبادئ السامية التي أتعامل من خلالها هي امور مجهولة وغريبة، وربما مخيفة في نظرهم؛ لأنها تفضح انحطاط أخلاقهم ودناءة مبادئهم وضيق أفقهم وجهلهم. ولن أحقد على من يصدقهم فهو شخص محدود مثلهم؛ إذ يكفيه اعتقاد أنه قادر على الحكم الصحيح، وهو لم يسمع ما يقوله الطرف الآخر، مع وجود علامات استفهام كبيرة على الطرف الأول. إنه بائس عندما يقف في صف الظالمين، فكلما اقتربت من الظالم أكثر كلما كنتَ أكثر عرضة لأذاه وظلمه، فإن أرادوا ذلك هنيئاً لهم.

اليوم أقوم بحملة تطهير لفكري وجسدي؛ لذا فإني سأنتشل بذور الحقد الملوثة من قلبي، وأقول لأعدائي سابقاً كما قال المسيح يوماً: «اغفر لهم يا أبتِ فإنهم لا يعلمون».

(٥٨)

تشعر أحيانا أنك لا تريد أن تنسى، لا تريد أن تغفر لأولئك

الأقرب إلى قلبك وعقلك؛ ليس أفعالهم الخاطئة، بل أفعالهم الصحيحة جدا التي لم يقوموا بفعلها؛ ككلمة بسيطة كان لا بد من قولها، كعناق جميل لم يحدث، كحديث جاد لم يتحدثوه. في هذه الحالة فقط، وعلى عكس مايقال إن المسامح كريم، يكون الغير مسامَح بخيل، والغير مسامِح كريم جدا!

(٥٩)

قد لا يكون انكماشاً ولا خوفاً من الفشل، و لكن في ليالٍ وحيدةٍ قد تشعر بأن شيئا ما بداخلك يحاول أن يقودك.. يحاول أن يسيطر عليك.. شيء بإمكانه أن يسرق النوم من عينيك، فلا تقدر أمامه إلا أن تمسك الهاتف بحثاً عن صوتهم لعله يعيد إليك نومك المنهوب.. تحاول أن تستجدي ذاكرتك و تلملم صورهم في مخيلتك، وتعود لتغمض عيناك من جديد، فتتذكر كل الحواجز و الأسوار التي تفصلك عنهم والتى لن تستطيع أن تظهرها ولن تستطيع لها نقباً.

حينها فقط ستعلم أنك أضعف مما تعتقد، ولن يكون أمامك إلا أن تسحب نفسك بعيداً هرباً من إحساس مرَّ بك ذات ليلة.. هرباً من دفئ أحسست به حين أنصتُ إليهم ذات وحدة.

كم تمنيت أن تكون الحقيقة ببساطة الحلم.

(٦٠)

يا صديقي،،

في مجتمع يقدّر فيه غناك الزوجيّ بعدد أطفالك وجنسِهم، لن يتوقف من حولك عن إشعارك بالنقص. إذ مهما فعلت، لن ترقى يوما إلى معايير مجتمعك التي لا تنتهي، وستكون مهمتك أصعب بكثير حين لا تعترف بهذه المعايير، وحين تكون لك الجرأة الكافية كيّ تعترف بمعاييرك الخاصة.!

لن يعي أحدٌ ما تقصده حين تقول أنك لا تريد أن تنجب الأطفال.. أنت الذي قد تنجب فيما بعد أكثر من طفل واحد دون أن يشكّل الأمر تناقضاً يذكر بالنسبة إليك.. لن يعي أحد ما تقصده حين تقول أنك لا تحب الأطفال، أنت الذي تتحول طفلاً بمجرد رؤية كائن صغير في غرفة الانتظار إلى جوارك .!

إن مجتمعاً لا يعرف أن يقيس مشاعرك تجاه من تحب؛ إلا بمقدار ما تتمتع به هذه المشاعر من بدائية، ولا يطمئن إلى استمرارية استقرارك، إلا بما يتمتع به هذا الاستقرار من سذاجة، مجتمع لن يكتفي منك أبدا، إلى أن يمرّ بك العمر وتكتشف أنك لم تفعل شيئا سوى ملاحقة فقاعات صابون لا أكثر.!

(٦١)

يعيش الإنسان يا صديقي كي يقوم بالكثير من الأمور التّافهة، بينما يعتقد أنه يقوم بالكثير من الأمور العظيمة، بل إنّ أكثر الأمور عظمة في نظره، هي أكثرها تفهاً وسخافة. ولابدّ أنه يحتاج عمراً كيّ يعي ذلك، عمراً لا شكّ يقاس بالعمق وليس بالطّول، وهذه ليست عدميّة أبداً - إن كنت تعتقد ذلك - على العكس تماماً، هذا أكثر ما كتبته إليك عمقاً على الإطلاق، ولكن لا يمنع ذلك من أنه الأكثر سخفاً كذلك.

مثلاً، أكتب إليك الآن بينما أعتقد أني أفعل شيئاً عظيماً، وربّما هو أسخف ما قمت وأقوم به على الإطلاق، ومع ذلك هذا التواطؤ الغريب بين العظمة والسّخافة؛ هو ما يجعلني أكتب إليك، أن تكون على سجيّتك تماما، أن تهب كلّ ما فيك إلى اللاشيء، إلى اللا أحد، هو سخافة عظيمة، بشكل ما!

-هذه هي المعادلة، تكبر أنت بينما يأخذ كلّ شيء في الصّغر، لا تحتاج أن تبقى صغيراً كيّ تبقى بصحّة جيّدة، ستكتشف لاحقاً أنّ الأمر لا يتعلّق بكون صحّتك جيّدة أم لا أبداً، بل تحتاج أن تبقى صغيراً كيّ يحافظ كلّ شيء على عظمته، على الكِبَر فيه، هل تفهمني؟ ستتقلّص قائمة أصدقائك، ستكفّ عن الحاجة إلى الآخرين، ستصبح لديك القدرة على الاستغناء، ستتخلّى، ستقوم

بتسخيف الكثير، الكثير ممّا كان عظيما وعميقا حتى اللانهاية، وستسمّي ذلك نضجا يا صديقي!

(٦٢)

يا صديقي عندما تكون وحيدا؛ يكون ثمنك باهظا، لكن حين تُصاب بهوس الدخول في التجمعات البشرية تصبح فردا رخيصا وجزءاً من القطيع.. ستكون بقمة ضعفك حين تنتمي لأي تجمع؛ قوتك في تفردّك. التجمعات هي الأحزاب والجمعيات والنقابات؛ وأي شيء بُني على فكرة الكثرة تغلب الشجاعة.. حتى عمل الخير حين يصبح منظما يفقد قيمته.

تصالح مع وحدتك؛ كوّن منكَ عالمك؛ كن ثورتك.

(٦٣)

في المرّة الأولى، يدفعني الحزن إلى الزاوية، يُجلسني على كرسي العقاب، ويبتسم .

في المرة الثانية، أعرف الطريق وحدي، اجلس، وابتسم، ويعجبني الجلوس على الكرسي، هكذا أحجز مكان العقاب وحدي، لا شريك لي، لا شريك، ولا عقاب من جديد.

على الحائط، بجانب ذلك الكرسي، كتب الكثير من أطفال الحياة أحلامهم وخوفهم وجنونهم واعتذاراتهم عن الفرح

الجميل.

الآن أحجزُ المكان وحدي، لا شريك لي، لا شريك!!

كلما قرأت سطرا لفرجينيا وولف، مثلا، تمتلئ جيوبي بالحجارة، وأغرق، ماذا تفعل بي الكلمات؟

اجلس على كرسي صغير بحجم العالم، والحزن سمسار لئيم ينتظر خلو المكان.

(٦٤)

سيمرّ هذا العمر بجميع الأحوال أقول هذا؛ وأنت تظن أني إمرأة سعيدة، بل ومتأكدة من أني سعيدة إلى هذا الحدّ، في حين لم يسبق لي أن اعترفت لك بذلك، ولم يسبق لك أن سألتني حتّى،هل أنتِ سعيدة؟

أتدري أصعب الأسئلة هي أكثرها بساطة، وربّما علينا أن نتوقف عن أن نسأل أنفسنا أسئلة كهذه، رغم أننا خُلقنا كي نسأل ونبحث عن الإجابات. والأسئلة لا تنتهي والإجابات لا تكفّ عن أخذك نحو العمق أكثر فأكثر المرّة تلو الأخرى، ولكن عليك أن تعي أنه ليس كلّ عمقٍ جميل، هناك عمق ما يجعلك تفقد قدرتك على أن تسعد بالأمور البسيطة، هل تعرف؟ لقد نسيت منذ زمن أن أسأل نفسي سؤالا كهذا، هل أنا سعيدة أم لا، تبدأ أن

تكون سعيدا حين تتوقف عن تذكّر سؤال كهذا، هذا ما قاله كاتب لا أتذكر اسمه تماما، لقد نسيت أن أهتم لمن رضي ومن لم يرضَ، نسيت أن أفكر حتى إن كان لي وطنٌ أم لا، نسيت أن أهتمَّ إن كـان يعني لغيري ما أفعل أو لا، أن تشعر أنـك عـالمٌ بحـدّ ذاتـك، دون أنانية ودون غرور، هذه هي السعادة!

(٦٥)

لم أكن أعرف أني سأكبر !

أقصد، لقد كنت أعرف ذلك بلا شك، ولكـن لـيس بـالمعنى الحقيقي الدقيق للكلمة.. أتذكر الكثير من الأمـور التـي حـدثت معي منذ أعوام، وكأنها حدثت في زمن -بعيد جدا- غير حقيقي في كثير من الأحيان، وكأنني أصبحت كائنا آخرا اليوم!

نكبر ولكل عمر جماله.. ونقبل بكل عمر ونندمج باهتماماتـه وبطموحاته، ونحقق به نجاحات تناسبه، ثم يأتي علينا يوم نرفض فكرة أننا كبرنا، فأرواحنا لا تغيّر أعمارهـا ولا تقبـل أشـكالنا ولا علل جسدنا. ويومها إمّا نتصاع فنهرم، وإمّا نتمرد فنجهل.

(٦٦)

لا جديد هذا المساء ..

ما يزال الصداع الذي أحمله معي من مكانٍ إلى آخر بخير. وما

تزال عداواتي الجميلة، التي تزداد يوما بعد يوم بخير كذلك.

مشاريعي الصغيرة المؤجلة التي لم تكتمل بعد، والتي يراهن البعض على اكتمالها، بينما يراهن آخرون على عدم اكتمالها، ماتزال بخير هي الأخرى!

وما زلت أمارس عاداتي السيئة كلها على أكمل وجه!

(٦٧)

الوقت لا يسعفني لوداع طائر الشمس الذي يغرّد على شرفة المعنى، ولا لانتبه إلى سرب النمل الذي يمشي إلى حصته من الله، الوقت لا يسعفني لأقول لكل الأشياء الصغيرة في الحياة كم أحبها، كم ربحت حين كنت أفتح عيناي على تمتمة الدم في عروقي أو نمنمة الأصابع في خطوتي الأولى، ووعد الحلم أن نلتقي في ليلة لاحقة.

الوقت لا يسعفني لأتذكر لحنا صغيرا، أو اسم أغنية كالعطر تحفظها الخلايا، الوقت لا يسعفني لأقول لأبي سأذهب غدا في رحلة خاطفة، لكنه يسعفني لأقول، شكراً.

(٦٨)

صديقتي تطلب مني أن أكفّ عن الكتابة عن الوطن، تطلب أن أكتب شيئا جديدا.

-أنا لا أستطيع يا صديقي ، إن الوطن هو ما يجعلنا نكتب، ثمّ إننا نمارس الكتابة كفعل نسيان، ونحن نريد أن ننسى هذا الوطن، أن ننسى هذا الوطن العاجز عن الحب.. هذا الوطن المدمّى على صفحات الجرائد وشاشات التلفزة يطلب الشفقة، هذا الوطن الذي أعطانا صكّ عبوديّةٍ يدعى جواز سفر، هذ الوطن الذي يحدث حين نطرق أبوابه، أن يفتح لنا المقابر!

(٦٩)

كلما نظرت في المرآة تساءلت، كيف أعرف أن هذا الوجه لي؟

كيف أعرف أن لوحاً صنعته يداي، صادقٌ لا يكذب عليّ!

هكذا أنا، أزرع الشجرة وتقع عليّ

أعصر الغيمة وأغرق في نهر الطين

أجدل ضفائري وتلتف عليّ

هل هذا الوجه لي، هل صورتي تدل عليّ، وتبني ممالك من جموح في الوجه البرئ، ماذا تقول المرايا لداخلي البرئ؟

المرايا لعبة الضوء.. ربما لم أكن هناك، لكن بي حاجة كي أصدق ما أرى، فأنا منذ حاولت أن أرسمني، خسرت يدي.

(٧٠)

هذا المساء صامتٌ جدا، نوافذ المدينة مشرعة على الفراغ، لا هي تنجو إن انغلقت على خواء البيوت، ولا هي تبرأُ من جفاف الأرصفة، ربما تتأرجح داعية الوحشة على جانبي الحزن، لتؤنس نفسها.

اعزف، لأن لا لغة تُطمئن الأشباح المذهولة سوى الموسيقى، الجميع قام بواجبه، كل ما أراه مدينة تحاول أن تصنع أبجديتها البدائية ليقول تراب للتراب الحكاية.

الطريق خال وطويل، والشرفة العالية تنفض ياسمينها عن سواد القنبلة، النساء كثيرات مائتات على أحضانٍ ممتلئة بأطفال؛ لثغوا الثدي المدمى حتى آخر قطرة. الرجال في الحرب، محلات العطور مغلقة وستائر البيوت لا أسرار تخفيها: لا عناقات الأحبة ولا رغبات متأججة ولا تسأل الجدران عن ليلة فائتة.

الصمت لعنة الحرب، الموسيقى تنادي سبعة أيام لتخلق حدائق من وردة غافية.

(٧١)

أتدري كلما غضبنا دفعت أشياؤنا الثمن.. غضبت ذات مرّة، الكلمة الصحيحة هي انفعلت بشدة، كسرتُ نظارتي الطبية، لم

أندم على غضبي بل على جعلي أشياء تدفع ثمن هذا الغضب.

لم أتعهد لنفسي أنني لن أغضب، بل تعهدت بأن لا تدفع أشياء أخرى الثمن.

كلما فكرتُ في الظلم عدلت عن الغضب، كلما أردت أن أكسر شيئا تذكرتُ دمعة سقطت من الحائط الذي عجز عن الامساك بالمكسور. وكلما أمسكت صحناً أود كسره أتذكر إخوة له شهقوا وتصدعت الأرض، أو أتخيل إن كسرته ستكون هنا شظية مختبئة بعد محاولتي أن أغطي على الجريمة.. ستكون غاضبة وتسعى للانتقام مني.

كلما أردت أن أنتقم تذكرت عشاءً لذيذا تتناوله الأرض من دمي، تأكله طازجا كلما تذكرت كم يظلم الذي يغضب.

(٧٢)

تشعر أحيانا أنك لا تريد أن تنسى، لا تريد أن تغفر لأولئك الأقرب إلى قلبك وعقلك، ليس أفعالهم الخاطئة، بل أفعالهم الصحيحة جدا التي لم يقوموا بفعلها؛ ككلمة بسيطة كان لا بد من قولها، كعناق جميل لم يحدث، كحديث جاد لم يتحدثوه، في هذه الحالة فقط، وعلى عكس مايقال أن المسامح كريم، يكون الغير مسامَح بخيل، والغير مسامِح كريم جدا!

(٧٣)

انقضى الليل بعتمته؛ شاملاً بردائه كل ما سلمناه من أفكار وأحلام ورؤى وأحاديث .. ويودعها صدره ما بين زفرات وشهقات.

وها قد أتى النهار بنبضه بإيقاعه بأحداثه يجرني للواقع يوثقني به ويدفعني لأعيشه .. مضطرة لأن أعمل وأجد وأعيش

ليس انفصاماً ولا تلوناً .. لكن بالليل تتحرر روحي ويثقلها الواقع تتوق دوماً لجديد تسميه حلماً.. أي حلم .. ترسمه توسعه وتودعه صدر الليل..

صباحي هذا اليوم يلملم أزاهير ملونة من أطراف عباءة الليل.

(٧٤)

اليوم هو يوم الكشف المبكر عن سرطان الثدي ..

أتعلم يا صديقي أكره أنا تلك المواعيد المؤقتة التي أضربها مع الخوف..

أكره أن أحدد موعداً أتهيأ له، وأذهب أواجه خوفي وحزني وحيدة.

أكره الإجراءات الدورية للكشف عن مرض يذكرني هو نفسه أني عرضة لاستقباله.

أكره وجوه الأطباء الشمعية.. أكره برودة المشافي .. وبرد غرف التصوير.. والتدقيق والتمحيص .. وموعد يسلمني لموعد .. ووجه شمعي يسلمني لوجه فاقد التعابير.

أكره فتح الملفات .. والسؤال المتكرر عن تاريخ أسرتي المرضي.. لأنني وقتها سأستعرض وجوهاً حبيبة؛ ذكرى معاناتها ذكرى رحيلها .. والأهم أني وقتها سأذكر كيف كنت الشاهدة على كل ذلك.. فتنهمر دموعي حارة تحرقني وتلذع قلبي .. وأمامي جدار من الجليد ينتظر أن أنتهي ليسجل معلوماتٍ تهمه ..

أكره وأنقبض وأحزن وأخاف .. ثم أني بعد عام أضرب موعداً مع القلق وأذهبُ إليه بقدميّ.

..

(٧٥)

جاء الخريف .. جاء فصل الذكريات والحكايات التي تروي نفسها بنفسها .. جاء موعدك الذي سوفته لأكثر من أربعين خريفاً.. اليوم أبدأ أنقش على الورق كل جملي المنمقة .. كل الحكايات التي تراودني قبل النوم .. طاولتي النظيفة .. أتأمل

الدفاتر التي اقتنيتها عبر السنين لأبدأ عليها كتاباتي.. جميعها جميلة.. أحدها بغلاف قاتم يوحي بالجدية.. والآخر بغلاف زاهٍ يوحي أن ما بداخله سيكون مذكرات لرجل. إمسك دفتراً عادياً.. حسناً ستكون البداية هنا.. فالدفاتر الأنيقة جداً لا تليق بالمسودات ..

وتمتد أمامي صفحتي بيضاء .. أضع كفي عليها وكأني أحتضنها قبل أن يجري حبري عليها. تداعب زواياها .. تبتسم لها، لعلها تعطيني خيطاً.. بداية.. فكرة. أي فكرة .. فكرة واحدة تشبه عشرات الأفكار التي احتفظ بها على قصاصات مختلفة في زوايا مختلفة .. ألملم بعض القصاصات التي كنت أكتبها عفو الخاطر و أطالعها، بعضها تذكر مناسبتك.. وبعضها لم يعد يوحِي لي بالكثير ...

أجمع الورقة بيدي أعتصره .. كم كان علي أن أؤجل حلمي حتى يبهت ويغدو بلا ألوان .. ولمَ كان علي ترتيب أولوياتي بعيداً عن أحلامي كل مرة؟

أغادر الطاولة إلى النافذة.. يشدني منظر ورقة خريفية تتهادى في سقوطها ويعبث بها الهواء.. وينتهي مشوارها على حافة نافذتي.. أتأملها للحظة أستجمع نفسي وأستلم رسالة من السماء.

(٧٦)

من قال أن للذكرى طقوس ومواعيد؟

أحب ان أنثر حولي ذكريات من فقدت من أحبابٍ حولي.. أزرعها كبذور أزهار ملونة.. أضيعها وأفاجأ بها كل مرة، أراها في ركنٍ ما.

هي أسراري الصغيرة.. هي أسراري الحزينة.. هي لقاءات بلا مواعيد معهم .

بعضها يهيج حزناً وآخر يسقط دمعة، وآخر لايترك إلا بسمة؛

رحلوا لكن بصماتهم، حكاياهم، ونظرات عيونهم الغالية مازلت معلقة بها،

أرواحهم ترفرف حولي إذا ما لمستها أتركها .. أعود لها مرةً بعد مرة، ولا أهجرها.

(٧٧)

أتدري يا صديقي.. لابدَّ أنك حضرت كثيراً لكلماتك.. لابدّ أنك أعدت صياغتها مراتٍ ومرات، لابد وأنك انتخبت ألفاظك .. انتقيت منها الأشد وقعاً.. أو حاولت اختيار الأقل إيلاماً.

لابد وأنك استعرضت جميع أقنعتك لتلبس أنسبها

وربما اعتنيت بتفاصيل كثيرة

وربما......

لكنك عندما أتيت.. كنت أنظر إليك مذهولة.. لم أرَ تفاصيلك.. لم أسمع كلامك ..

كنت أمامي كمن ينفث دخاناً بلا لون ..

حتى عندما كنت تفرغ من ألوانك .. من انسانيتك

رحلت بكامل أدواتك ...

و لم أرَ رحيلك.. كنت مصدومة!.

(٧٨)

صديقي هل يعقل أن ينتهي الدور؟

في مسرح الحياة وقفتَ طويلاً وراء الكواليس بانتظار دوري.. حلمتَ بنجومية وبأدب عالمي.. بل حلمتَ بأوبرا بألحان وألوان وملابس.. وديكور مختلف لرؤى فارهة.

وعندما دخلت المسرح فهمتَ من البداية أنّ عليَّ البطولة المطلقة.. وأن الديكور لن يكون كافياً للتعبير.

كنت أترك الأحداث تأخذني،، تارة أركض فألهثُ، وتارة أتهالك متعبة.. حيناً أبكي وحيناً آخر اندمج بالدور وأنسجُ

الحدث التالي .. واتجاوزه لآخر.

أعـيش حيـاتي مجـرد أدوار .. لـيس بالضـرورة نفاقـاً .. لكني أتماسـك أمـام الـبعض ليـدعموني فيبقـون متماسـكين.. وأمرح أمام آخرين فأبدد الكآبة من حياتهم..

عندما أختلي بنفسي لا أرخي لها العنـان.. لا أمنحهـا الحريـة لتذهب بي إلى حيث هي تريد.

هي أدوار يا صديقي نعيشها حسب معتقداتنا.. حسب أهداف التزمنا بها بحياتنا ..

أدوار تجعلنا متوازنين .. في الطريق الذي رسمناه لأنفسنا.

أتعلَّم كنت راضية .. كنت أظن أنني متألقّة في دوري الأحادي .. إلى أن خطر لي أن اشتهي تصفيقاً وكلمات إطراء تحملني عـلى الإبداع و تطلب مني المزيد.

لكن عِوضاً عن ذلك خفتت الأنوار فجأة، ولم يعد يسمع على المسرح سوى صوت بعض الكراسي تتعثر بها في عتم المكان وفي وحشته.

(٧٩)

اليوم مررت أمامها وتجنبتها .. هي لم ترَني .. لم تكن لتراني بعد

كل الذي ألَّمَ بي فشردت الروح وذهل العقل.

مررتَ بها وكانت تعرف جيداً أنها وحدها من تستطيع مواساتي.. كانت تعرف جيداً ما تقوله لي فتهدئ من روعي، وكانت تعرف جيداً أنني ضائعة؛ على مفترق طرق منصوبة على هاوية الوجود. لكنني بكل بساطة كنت أسرع بالطريق الجانبي .. لا أريد أن أتورط بوعد أو بلملمة فُتاتِ حلم.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي خذلتها بها.. لكن هذه المرّة كانت الوحيدة التي لم استطع فيها التهرب من مرآتي .. صفعتني وجهي حينما رأيتها في المرآة .. ازدرت عيناي.

قبل الآن كنت أغمض عيناي وهي تُسمِعُني من كلمات العجز والحزن والقيد ما يُدمعني .. لكنني اليوم لن أصدقها فأنا نفسي بتُ لا أصدق نفسي.

في قرارة نفسي أنا مهزومة حتى من قبل أن أنال شرف المحاولة..

في قرارة نفسي أنا هيكل يختبئ خلف قلبه لم يتقدم يوماً للمواجهة.. كنت أشذب مخالبي.. وأعتني بأنيابي.. لكني لم أبرزهما يوماً ولا حتى دفاعاً عن نفسي.

تخيل أنني نجوت من نفسي بوجودها؟

قبل هذه المرّة كنت شاهدة وكنت موجـودة.. ولم أنقـذها ولم أنتشـلها ويومهـا بـررت هـي بحبـي جميـع جُبْنـي .. أرسـلت لي نظرات عجز تؤازر عجـزي .. ومـدت يـدها لتمسـح خـذلان جبيني ..

(٨٠)

أنا أطفو في بحيرة سحرية .. تغمر كل سنين حياتي

أطفو بدون أي كتلة.. بدون وزن، غدوت أطفـو عـلى السـطح أتهادى

أحـاول أن أذكـر أي شـيء .. أي شـي ء يثقّلنـي .. يعيـدني للوجود ، لم تكن الرؤى التي عبرت مخيلتي سوى حزم مـن نـور باهت؛ اجتازت ركاماً متشابكاً مـن أحـلام وذكريـات.. غصـات وأنين .. وجاءت لترتمي عليّ بقعاً خجولة.

هذا الذهول لا يشبه السُكر بشيء

لا يشبه حتى الخَدر

هذا الذهول كان مزيجاً من السحر والروعـة ... كـان وجـداناً يبحث عن منطق ..

شيء يشبه نشوة منتحر يذهب بخطى ثابتة لقراره.. سفر بالزمان والمكان والأشخاص.. استدعاء لكل المشاعر والحواس .

أزجها بساحة واحدة.. ثم أهملها جميعها لتتخلي عني ما أخف الجسد بدونها !

ما أبهى الصور حين لا تنعكس فيها مشاعرنا... حين لا نلوثها بانطباعاتنا،

ترى الروح أيضاً تتخفف هكذا منا عندما ترحل عنا؟

(٨١)

ها أنا أعيش على مسافة واحدة من كل ذكرياتي..

وأركن كل ما مضى من حياتي على الرف الأفقي ذاته.. استدعي منها ما أشاء ... استدعي منها من أشاء ..

وكأني وحدي خرجت عن «موضوعة التقادم» وكأن حياتي كلها تقبع ببرزخ واحدٍ.. لا تهمني التواريخ وحتى الوقائع.

كل مرة أنبش في أناي أطالعها في كل مرحلة، أراها في مرآة علاقاتي.. في من مروا بحياتي.

أرى نفسي لامعة منزهة.. أرى نفسي محقة مصيبة؛ ألبس الآخرين عباءة الأخطاء و أتدثر بأنانيتي .. أخلع عليهم ألقاب الغدر والطعن .. واختبيء خلف مفرداتٍ أجدت إحاطة نفسي بها، مفردات كالخيبة والحظ العاثر.

أتذكر دموعي في ذلك اليوم؟ أتذكر كيف سالت حارةً عندما ذكرتني؟ أتذكر انقباضك؟

دموعي تلك تُراها كانت شوقاً لك؟ أم شوقاً لنفسي معك؟

أغمضت عيني يومها وكنت في قمة تسليم قياد النفس لك؟

وخطر لي أنك قد تكون في قمة الأنانية عندما ترى نفسي فيك!

صدمتني الفكرة .. استوقفتني .. دهشت لمرة أمام أنانيتك، ودهشت مرة ثانية وبوقعِ أسرع .. لما جربت واستطعت أن تستبدل صورتي بصورة أي أخرى غيرها من الرف، فأتوجع الوجع ذاته.

صدمتني المكاشفة فلأول مرة واجهت نفسي بشجاعة: الرجال لم يمروا بحياتي! لم يدخلوا في مسارها!

بعض المكاشافات يجرح حتى ولو كان بوحاً مع النفس .. بعض البوح يُخجل .. بعض البوح يحتاج لجرأة أمام النفس..

بعض البوح ثقيل.. ثقيل وقد لا يخرج إلا مع الروح.

وما الفرق ؟؟ وما الضير؟؟ ومع من ستكون أنانياً ؟؟؟

طالما سيبقى كل بوحك حبيس نفسك ولن يتجاوزها لغيرك ..

لكنك تعرف ولكنك على يقين أن ذلك البوح يمس الصورة القدسية التي رسمتها لنفسي عبر السنين .. هذه المرّة أتنهد بعمق.

(٨٢)

اليوم أتيت لأكتب..

اليوم تراودني عباراتي على حدود الشوق والشك ...

طال الغياب ويخطر ببالي الشوق، فتتدفق بذهني تعابير صافية حانية دافئة.. تتدفق صور تتمنى لو أنني أنقلها بأمانة.. وأنقل تفاصيل جمالها .. أصيغ هالة قدسيتها..

أغدق عليها بخيالاتي مترفة من الدلال.. أرفع رأسي وأسهو.. أتخيلها على الضفة المقابلة للشوق يغسلها الضياء ويرتمي تحت قدميها.. أحلم بلحظة لقاء .. يطير قلبي فرحاً ويحتار تصوري أيمدُّ لي جسراً يوصلها لي.. أم يقرب الضفة لي فيكفيني أن أتلقفها بذراعي وأتخيلهما قويتين تسنداني تحملاني ويتوسدها

قلبي المشتاق.

فجأة يعبر الشك كياني، وخزة عميقة في صدري، يفتح قبضته ليمسك قلبي يعتصره حتى ليكاد يقتلعه من شرايينه.. يشد جوارحي .. تأكلني نقطة الشك في قلبي.. يشل إبداعي يلعن شوقي .. عبثاً أحاول ضخ حبراً في قلمي .. عبثاً أحاول الكتابة.

انظر إلى ورقتي بدهشة.. يؤرقني وقع نبضي من يديني المبسوطتين عليها .. يؤرقها غليان الدماء في عروقي.. وعلى امتدادها سطر يتيم ..

ظهري تمزق من سياط الأسئلة.. وأنا المشردة في الدروب المقفلة.

(٨٣)

كانت حياتي أشبه بمدينة ملاهي صاخبة تصدح فيها الموسيقى وتتلألأ الأنوار وتتزاحم فيها الناس والمشاعر.

وكان حلمي بها يشبه الرحيل لطبيعة هادئة.. يشبه الراحة بعد العناء.

حتى أنني لم أرتب يوماً موعداً لأحلم بها ... كنت أعلم بأي ركن هادئ أخبئها ...

كما تخبئ طفلة شرائط حريرية ليوم العيد....

لم أصارح نفسي يوما بماهية شعوري نحو الحياة، فالغموض والترقب والتوقع أجمل من أن تضعها تحت أي عنوان..

كنت أمضي أوقاتاً طويلة أدندن فرحةً، فأعيد ما أدندنه واستشعر جماله وأعيد، ثم أرسل أطراف أناملي لشفتي أحاول أن ألملم الأحرف وأن اكتنزها لنفسي ..

ترضيني المحاولة فأعيدها..

يا لهذا الطيف الذي لم يدخل يوماً تفاصيل حياتي ولم يعيقها ..

طيفٌ لم أجهد نفسي يوما لإرضائه أو حتى لإقصائه ..

طيفٌ يلوح ثم يتلاشى بأي حضور آخر..

كانت هي مجرد لحظات هروبٍ.. كنت دوماً أجبن ولا أقوى على ارتكابه..

(٨٤)

كنت هناك يوماً ..

كنت متألقة بعزفي المنفرد ..

كانت النوتات واحدة تلو الأخرى تنسل خيطاً مني.. وتطير ..

تأتي لتنتشي بين يديي.. ترتمي أمامي وتطير ...

وكانت روحي ملكي.. فأغدقت عليها الألحان..

كنت أنا وحيدة فريدة.. وأوتار عمري تمتد أمامي ألاعبها بخفة.. أنقرها برشاقة..

لم أكترث للمقاعد ولا لِمن شغلها!؟.

لم أكترث من راقب؟ من شهد..؟ من غفى ... ومن حلّق ؟ ..

لم أكترث يومها للسقف يدنو يشابك الخيوط ويلقيها ثانية حولي وعلى أقدامي ..

تنسج حولي عالمي .. حبسي ...

حتى انسحب آخر خيط مني .. والتف حول آخر مسمار في حياتي.

(٨٥)

قهوتي اليوم بنكهة الحياة ...

أذهب لإعدادها.. أحضر لها... أنتظرها بصبر وهي تأخذ وقتها لتغلي..

أتوق لأول رشفة ... فتلسعني بحرارة تكاد تحرقني .

أتركها وأنا أشاهدها لا تغيب عيني عنها.. أعود إليها فأراها

فاترة.

أحبها حلوة ... وتترك بفمي مذاقاً مراً

أصبو إليها بوحدتي .. وما أن أمسك الفنجان حتى يشاركني بها من أشتاق إليهم.. من لن تجمعني هذه الحياة بهم على فنجان قهوة مرّة أخرى.

لا أعرف -بعد كل ذلك الشوق- كيف وصل فنجاني للرشفة الأخيرة دون أن أستمتع بها.. أتأمل عقب الفنجان .. أديره، أهزُه، استجدي المزيد.. أريد أن أتجرع الرشفة الباقية وأخاف أن أنهيها.

(٨٦)

صديقي ،،

في هذا اللحظات أتناول بيديّ أشيائي المقدسة؛ جمعتها عبر السنين أقلبها.. أنظر لها باستغراب ثم أبتسم .. كوب أشبه بألعاب الأطفال .. محرمة مدون بطرفها تاريخ يوم بعيد، قصاصة روزنامة تحوي بيت شعر غزلي، خصلة شعر، ريشة من زغب عصفور، صورة جماعية لمجموعة لا تستبين ملامحها، كتاب وبالأحرى كتيب قد لا يعني شيئاً إلى جانب مكتبتك!؟ قصاصات متفرقة - بمشاعر مبعثرة- من يراها يظن أنها أشياء أَهُمُ

برميها. أجمعها بيديّ.. فعلاً قد حان الوقت لرميها! أعيد النظر وأطيل.. هل كنت جادة؟ هل كنت أعتبرها هدايا؟

اليومُ هذا هو أسلوبي.. هذه هي طريقتي لأثبت كل حين أنني كنت هنا.. عبر كل هذه السنين كنت هنا .. كما تشدُّ طفلة صغيرة يد أبيها من كُمِهِ لتقول له: من بين أطفالك أنا هنا .. كما تلتصق به لتقول له: أنا في كنفك. رسائلُ خفيةٌ، تبدو تافهة، لكنها رسائل خجولة تخبرني: أنا لازلت هنا.

(٨٧)

اليوم أيقظت حواسي..

قررت التسوق من السوق القريبة من منزلي .. صافحت وجوها بشرية حية.. بعدما طال تصفحي لوجوه من وراء شاشة. لمست الخضار والفاكهة وأنا اشتريها شممت رائحتها .. تفحصت ربطات الخبز.. شكرتُ البائع الذي ساعدني فتذكرت أن الناس ما زالت تتكلم لغات وتنطق الكلمات لا تكتبها .. سمعت صوتك وسمعت صوتي، تذكرت أننا عندما نتكلم، نُعبِّر، نبتسم.. شعرت أني شققت وجهي بابتسامة بعدما طال تعبيري عن الابتسامة بوجه مصطنع...

رأيت أن الناس ما زالت تتحرك بالشارع وترى بعضها وأنا

حبيسة شاشتي أنتقل بين صورة وفيديو ومحادثة .

في الشارع لفحتني نسمات، ضاحكتني الطبيعة.. أوراق الأشجار رحبت بي.

اليوم عاتبتني طبيعتي البشرية على الجمود الذي بسببه أجعلها رهينة خلف شاشة فيسبوك، خجلت منها .. ليس لدي الكثير لأبرر إدماني..

لكن لدي الكثير لأشعر بامتناني، لأني اليوم تذوقت هذه التجربة.

(٨٨)

يوم أمس استعدت اكتشاف طفولتي في المحلات العامة بين رفوف وصناديق زينة عيد الميلاد وهداياها ..

تأسرني الأشكال والألوان .. أحب استكشاف تفاصيل المعروضات..

أكثر ما أحب بزينة عيد الميلاد الشموع الملونة.. وأكثر ما يستوقفني هو تلك البيوت الخشبية الدقيقة المكسوة بالثلج المنارة النوافذ والأطراف .. أستلذ استراق النظر لداخلها .. أبحث عن سكانها .. عن مفروشاتهم وأدواتهم..

يوم أمس نسيت قائمة مشترياتي، وأمضيت وقتا سعيدا بين

الألعاب والحلم والذكريات.

(٨٩)

صحوت صباحاً وأنا أبتسم بانتصار.. ليست المرة الأولى التي انسحب فيها من حلمي وهو بأوج نجاحه .. كثيراً ما فعلتها من قبل.

تبرق الفكرة بذهني أولاً؛ فأغامر وقد تقامر بي وأمضي بتحقيقها وأنجح وتنجح وتتألق، وفجأة أقرر أني اكتفيت.. واقرر أن اعتزل وأنا في القمة.

أتدري منذ بدأت بأولى طموحاتي بالتعليم ثم بكل مجال خضته بالحياة .. كنت أدخل رهاناً مع الحياة أنني قادرة وأنني سأنجح وكنت أنجح.. وأُبهر الجميع وبأوج انتصاري.. أترك النهاية مفتوحة وانسحب.

اليوم أنا من جديد أخطط لإنهاء حلم.. من جديد أسجل لنفسي إنتصاراً على ما آخذه من نفسي، وما آخذه من سكينته ومن عزلتي.

اليوم أيضاً سأدير ظهري لشعلة عملاقة أشعلتُها وغذيتها، وستتركني وسأتركها الآن تخبو لوحدها.

عبر السنين أثرت لغطاً حولي.. أثرت استغراب الناس..

وأحياناً تعاطفهم .. كانوا يظنون أني سأخرج مكسورة .. كانوا يظنون أن فراغاً سيحل بأيامي عندما رحلت.. وحدك -ورغم مرارة الفراغ الموحش الذي تخلفه في كل انسحاب- تعرف وبقرارة نفسك تيقنت إنني سأكون على أعتاب حلم جديد أراهن عليه لأثبت أنني قادرة.

ليس من السهل بدء حلم جديد كل مرة.. ليس من السهل البدء من جديد بوجوه جديدة ومكان جديد.. ومع ذلك لا أقاوم نفسي أبداً عندما تسول لي الانسحاب.. ومع ذلك لا أتمسك بأحلامي ولا بنجاحاتي ولا أدافع عن وجودها لأستمر بها ومعها. أخذل إنتصاري.. أخذل أحلامي.. قبل أن تخذلني هيَّ، وأنسحب منها قبل أن تسحبني هي إلى نهاياتها...

(٩٠)

لم يستهويني يوماً الترتيب أو إعادة الترتيب ..

احرص عادة على وضع الأشياء بأماكن مخصصة فتبقى بها..

تألف عيني وجود أشيائي وترتيبها.. تألف عيني رتابة ما تراه.. تحفظه عن غيب ..

لكني اليوم أطلت النظر بقطع الخزف مطبقة فوق بعضها.. حاولت أن أتذكر منذ متى وهي هنا؟ منذ وفاة أمي تركت كل

شيء في مكانه.

شهور عديدة مضت.. أتعرف كانت تلك المزهرية عملاً فنياً.. لكَم أَطلت النظر إليها من قبل على الرفوف في ذلك المعرض .. ولكَم تمنيت أن أقتنيها.

يوم سقطت من يدي فانكسرت لململتَ أجزاءها بعناية كبيرة.. فعادت إليَّ تحفتي التي عشقت ..

أتذكُر جلبتها لعندك على الطاولة.. ولامست الحواف الحادة الجارحة وحاولت أن تركبها بمخيلتك ..

يومَ كسرتُها وشوهتها كنت أسال كيف سأعيد لها الآن بهاءها؟

أتدري احتفظت بها كل تلك السنين لألامس حوافها المهشمة من جديد..

احتفظت بها وأتأملها اليوم وأتذكر كم تُقت لاقتنائها .. وكم تحايلت على ظروفي لأتحصل عليها.

أتأمل الكسر والشروخ التي رممتها، رغم أن ذلك الشرخ لم ينل الوجه الوضاء المرسوم على مقدمتها.. وأتأمل ذلك الوجه..

لَم أظنها يوماً جماداً مهشماً على رفي ... كنت أراها روحاً نائمةً بوداعة،

كنت أرسل نظراتي إليها .. وأعدها بالوقوف ثانية زاهية ملونة ..

وبقلبي رجاء أن أنفخ فيها من روحك فتحييها.

أنا أكيدة.. على الأقل أنك تعرف وتعي الآن .. كنت تؤجل ترميمها لأنك لا تطيق رؤيتها مكسورة بين يديك.

(٩١)

سرت ذكريات خفية ..

وضعت طرف الملعقة الصغيرة بين أطراف أسناني وضغطت عليها.. قبل أن ترتسم بسمة عريضة .. وقبل أن أسرح بنظري وبريق خفي يتلألأ في عيني.

اليوم لحسائي عبق رجل غائب، أدعوه لمأدبة حساء أو أن أدعُ نفسي لذكرى مأدبة معه.. حتى أني أخرجت علبة حلوى ووضعتها بعناية إلى جانب الحساء.. وأخترت أن أجلس حيث لا تلمح عيناي الطريق.. ولا أمسك بيدي كتاب .. اخترت أن أجلس بالقرب من حسائي.

اليوم لأول مرة يغريني طعم الحساء فأرسل أصابعي تلثم حوافه، تداعبه.. اليوم أنتبه لألوان صحني المفضل.. الوردة البيضاء المفردة والفراشة الزرقاء ترفرف على حوافه.. تحوم على

رؤاي وذكرياتي، استدعيها و استرسل بدون أي اتجاه.. أي زمان أو أي شخص.

أعيش حالة من اللاواقعية.. لأبعد حدود لا واقعية، أمزج فيها الأزمنة ويختلط فيها الأشخاص وأعبُر بلا ملامح.

وترحل الجدران والأوراق والأشياء إلى بلاد البهجة النقية ..

ويظهر الحزن كعين الماء ..

وأنا في فضاء هذا الحزن يا صديقي فراشةٌ زرقاء.

(٩٢)

يا صديقي..

دائماً في أعماق نفسي ، أود لو أترك إرثاً من أفكاري ومن مشاعري ليقرأها فيما بعد من لا يَمَلُها، من يتعلق بِها ، من يفهم أن يتعاطف معها فيعايش لحظاتي..

لَكَم تخيلت نفسي شخصاً مؤثراً في مواقف القوة وألهم قارئي وأشدُّ من عزيمته.. وكم حلمت بدمعة تسقط على وريقاتي حارة متلهفة من عينٍ رقت لحالي وأنا في أضعف حالاتي.

طوال عمري كانت تلهمني روح التمرد.. تمردت على مجتمعي تجاوزت عادات بالية.. صرت رائدة في أمثلة كثيرة .

كانت تأسرني صور من الميثولوجيا لآلهة متمردة تثور فتهدم جدران المعبد أو تفجر بركان.

كان الزهو يملأ صدري حين أذكر أنني قادرة على ابتكار كل جديد لأعيش الريادة بكل روحي..

وقتها اتخذت قراراتٍ حازمة .. كانت قرارات حازمة !

أشرب قهوتي وأستنجد بها وأريد أن أتذكر تلك القرارات المؤثرة.. مع انني كنت استذكرها طوال حياتي.. لكنني اليوم لم أعد أعثرعلى واحد منها يمتاز بأهمية تذكر!

لم تتجاوز قراراتي الحازمة هواياتي متعلقاتي أزيائي وشكلي.. كل تلك الريادات كانت شخصية لم يكترث لها أحد؛ كل ذلك التمرد لم يكن نجاحا مجتمعياً.

أنظر لأوراق مكدسة على الطاولة .. لم أكتب مذكراتي .. ربما كانت فكرة صائبة، لا يوجد فيها ماهو جدير بالذكر أو بالتوريث.. وما ظننته يوما ريادة تجاوزته أجيال اليوم بمراحل.

لا بأس لكني تركت ما يحكي حياتي..

هناك خواطر متفرقة كتبتها.. أبيات شعر أفردت لها وريقات.. دسستها بين كتبي وأوراقي، وتركتها رسائلاً لمن قد يهتم لشأني، ويأتي يوماً يبحث عنها يستخرجها كحلقات متسلسلة يرتبها ثم

يقرؤها على مكث فيركب صورتي كما رسمت له ..

تلك الصورة التي أعتقدها لامعة لمن قد يطلع على حقيقتها لمن يفهمها ..

هل تحتاج ذلك فعلاً؟

هل ستحتاج مرحي أو دمعة .. ألم أكن أحتاج لمستمع أكثر من قارئ..

ألم تلِق بحياتي بسمة تبارك إنجازي أو لمسة يد تمسح دمعتي!

أذهبُ لنافذتي الصديقة لأطالع وجها انسانياً.. كائناً يتحرك فألبسه أحلامي ولو لوهلة، ثم أمضي مخلفة بذهني مجرد صورة مع أكوام مشاعري المتداخلة.

(٩٣)

أتدري..!

لم أؤمن يوماً بالرسائل التي كان يرميها بطريقي..

لم أؤمن يوماً بالهدايا والعطور

كان يكفيني الاقتراب لمسافة همسة فتُخضع المشاعر لسلطانه ويجعلها طيعةً.. ملك يديه.

لم يبرع أحد مثله بالكلام .. كان فنانٌ برصف الحروفِ

فنان يعرف كيف يرمي شباك كلماته.. ويعرف متى يلمها فتغنم ما علق فيها.

فنانٌ يعرف أين يزرع تعابيره، ويتركها لمواسم الشوق يرويها فتكبر وتزهر وتعبق في غيابه.

فنان يعرف كيف يقفز فوق الوعود فيصل دون أن يَعُدّ.. يعرف كيف يسوق الكلمات فتوحي دون أن يصرح..

فنان يستغرق في فنه يصوغه كسيمفونية بالغة التعقيد.. يبدأ بخرير مياه بزقزقة عصفور.. ولا يلبث أن يثور كعواصف.. تشتعل براكين.. فيسود الصمت إلّا من بعض النحيب.

أمزق ورقة من تقويم أيامي.. وابتعد!

كم أشتاقه...

(٩٤)

وحيدةٌ أنا يا صديقي بين تلك الجدران الصماء الخرساء والشبابيك التي لا يطل منها أي أمل. كل ما يغري في المشهد أمامي.. أنه لن يتغير.. لن يعيق أحلامي.. لن يشوش رؤاي.

لا أحد يحتاج أن يرى تعابير وجهي.. ولا أن يرى ملامحي.

يكفي أنني هنا انمحت المشاهد أمامي.. انفتح الأفق واسعاً، واقتربت أمواجٌ من عالمي.. اقتربت، تلاحقني، تكاثر الزبد على أطرافها ثم تعلو..

تندى ثوبي فلم آبه.. غرق ثوبي وحملتني الموجة.. حملتني و قذفت بي للمجهول.

كل الأحلام في الحياة.. أمواجٌ يوَّشي أطرافها زبدٌ ساحر، ومن حلمٍ لحلم.. ومن زبد تلاشى لزبد.. لازلت أحلم..

رجاءٌ وحيدٌ يواكب حلمي، يوازيه.. ألا يفسد أي واقع لحظاتي ..

حتى أنني لا أحتاج لطرف آخر في حلمي.. فأي طرف آخر سيستمد وجوده من واقعي..

أرفع يداي .. وأنشر أكمامي كأشرعة وأبحر.

أتدري.. لا تشيخ أنثى إلا عندما تتوقف عن الحلم.

(٩٥)

صرت كلما أشرب قهوتي أتخيل الفنجان روح يجالسني ويوآنسني.

بعض الفناجين تترفع عن قهوتنا.. مهما أحببناها وبعضها

كافٍ يفي بالغرض.. نعب منه قهوتنا وننهيها وننسى متى بدأناها. وبعضها رقيق يغرينا بالنظر إليه بملامسته.. نرشف منه.. فنشعر أننا نمارس طقساً مقدساً.

نتركه فنشتاق لرشفة تالية وكأنها حجة محب للقاء.. حتى أنني صرت أتبع التفاصيل وأنظر داخل فنجاني وهو يفرغ من قهوتي اليومية.

أتعلم.. أن هناك الفنجان الصديق يرافقني لسنوات.. يشهد رحيل إخوته من حوله ويبقى وحده يؤنس أوقاتي.. ويستأنس بي..

يكاد يتلو علي وقائع يومي.. وأكاد أحدثه بما في نفسي.

(٩٦)

أدركت اليوم يا صديقي..

إنه ما أروع أن أعود لذكرياتي فأعيشها كشخص ثالث.

ما أروع أن أعيشها بلا أسى، بلا حقد وبلا غيرة.

ما أروع حين أجد مبرراً لكل ما فات.. حين أعذر كل من أبكاني.

حين أسامح من كان سبباً في أحد الأيام باعتصار قلبي وزلزلة

أركاني. أسافر في الزمن وعلى وجهي ابتسامة، قد تكون ابتسامة ساخرة من نفسي. ما أروع وأنا أستخف حتى بمشاعر أرقتني بوقتها وأوقفت مسار حياتي.

أتفنن في التعبير عن الخذلان.. وأرى من هم حولي يمجدون الضعف ويتشوقون لمن قد يزرع الشوك بدروبهم.

ابتسم أكثر.. بل أكثر، الآن اود أن احتفل باكتشافي.. وأشعل لفافة تعب منها بارتياح.. وكأنني أريد إنهاؤها بسحبة واحدة طويلة.

ما أروعني وأنا أستمع للأغنية إياها فلا تُشجيني.. لم أصدق نفسي قررت أن أعيدها، فكانت فيها كلمات تكبلني وتثقل روحي وقلبي.. كانت حقاً تأسرني.

أعيد أغنيتي.. أذهب لحافة النافذة.. أشهد غروباً جديداً في حياتي.. ابحث عن تلك الحمامة التي عششت بزاوية الشجرة .. فقد تصادقت معها من أول يوم حطت فيه على الغصن وبدأت تجمع عيدانها بزاويته.. حتى هي لاحظتك .. ربما أسعدها أن أكون شاهدة على مثابرتها وإتقانها لعملها.. شاهدة على صبرها وأنَاتِها. تأملت العش الوديع الآمن.. وفكرت ربما أرادت أن تعطيني درساً.. صمتت الموسيقى حولي.. انتهت الأغنية الحزينة لم أنتبه لكلماتها..

(٩٧)

تقاسمني شخصيتي أنا أخرى.. أنا أخرى حزينة حتى النخاع .. أنا قلقة ليلاً يا صديقي ويحاصرني بالنهار قلة الأمان .. أنا نازحة أحنُّ لبيت هجرته قسرياً.. يتيمة لا أعرف وجه المستقبل.. أنا عاجزةٌ مكبلةٌ لا أملك سوى الدعاء.. فأنا لا أدري إن كنت سأعيش حتى الغد .. أنا لا أعرف الحياة التي أعيش .. ولا أستطيع أن أتذوق الأمان الذي استشعره.. لا تأكل مما آكل ولا أذهب حيث أذهب.. لا أعرف كيف إنني دفينة مخاوف داخلي.. لا أعرف كيف أنتِ لا أستطيع أن أتطلع على مباهج الحياة.. أغرق بالظلام ولا أفتح حتى نافذة للنور الذي يغرقني.. أشتاق لأخرى مني، وأنتظر الصيف لألاقيها في زوايا بيتي وفي شوارع مدينتي.. ذاتي تختصر الآن كل معاناة أهل الكون وتأتي لترتمي في زوايا روحي شجيةً خائفة، وترسل دموعها حارة على وجهي.. فلا أعود أعرف أيهما أنا.

(٩٨)

صديقي،،،

من قال أن للذكرى طقوس ومواعيد؟

أنثر دائماً ذكريات مَن فقدتُ من أحبابٍ حولي.. أزرعها

كبذور أزهار ملونة.. أضيعها وأفاجأ بها كل مرّةٍ أراها في ركن ما.

هي أسراري الصغيرة.. هي أسراري الحزينة.. هي لقاءات بلا مواعيد معهم، بعضها يهيج حزناً.. وآخر يسقط دمعة ... وآخر آخر لا يترك إلا بسمة.

رحلوا لكن بصماتهم، حكاياهم، نظرات عيونهم الغالية مازلت معلقة بها، أرواحهم ترفرف حولي إذا ما لمستها أتركها.. أعود لها مرّةً بعد مرّة ولا أهجرها؛ عادات اكتسبتها مع الزمن.. هي بعض جلد الذات.. هي بعض الوثنية.. هي بعض الوفاء.

(٩٩)

أتدري.. رغم أنني أشعر وكأن هناك جدراناً تبنى حولي.. وأتركها ترتفع بزهو ..وأسمع من خلفها كلماتٍ تورق وتزهر.. كلماتٌ تبني أعشاشاً لعصافير فتحط عليها فراشات ملونة.. ثم تهب نسمة فتطير فراشات وتغرد طيور.

استغرب كيف لها أن تخرج من هذه الجدران السحرية، وتضيق بمكان لا يكفي لاثنين، خاصة وأنه مكان باهي حنون رغم كل الحزن الذي يكلله.. هو أكمة من المستحيل، أخطو فيه استسلم له.. يدور بي المكان يدور وبدون إعياء يتوسد حناياي ويرسل كفه، فتنبع من بين أصابعه جداولاً سحريةً تسير

بشفافية نحوي، تخرخر فتتمم بإيقاعها سيمفونية الأكمة المبهمة، أحني جبيني لأري صورتي في الماء فيضطرب السطح ويتلألأ.. وتتفتح أصدافٌ على جنباته وينتثر لؤلؤ.

في مكان كهذا أتحرر من روحي وأرفرف بعيداً عنها.. وأرقابها بشغف.. أشفقُ عليها أن أعيدها لحبسها ولا أستطيع التحليق معها.

أشغل نفسي عنها بأسماك ملونة تنفثها الجداول؛ وبألوانٍ ترسل نظراتها فأنشرها بفضاءات المكان، إذ لا عيون متلصصة.. ولا يجهدني البحث عن كينونتي هنا..

كل ما في الأمر أن المنطق ينعتق من المنطق بهذا المكان.. والحواس لا تبقى خمسة..عالمٌ يفوق الأحلام غير أن المستحيل هو سيد المكان.

(١٠٠)

ما زلت كما أنا و ما زالت زفراتي تتردد على مسمعي..

طوال عمري أعشق أن أجد لنفسي ركناً أراقب منه، أغضب أحياناً أثور وألطم وجهي.. أصفعها وأحاول أن أهُزُّها وأحياناً أطرب لشمسٍ تداعبني فتتراقص برشاقة وتتلألأ لي بدلالٍ، ويطول مشوارها يوماً فتقترب منك بتعب وترتمي عليَّ، وقد

يغلبها اليأس والكآبة تتردد وهي تدنو مني تبوح لي ثم تنسحب بانكسار، وأنا ممتدة في صمتٍ لم أتأثر يوماً بها لم تتناغم معي.. صخورك تقف بنفس الصلف والزهو، والرمال بنفس اللون الذهبي تبتلع الغلال البيضاء.. وتمسح ذكرى مرورها عليّ بثواني..

أنا الشاهدة فلي أن أعبّ عبقها.. ألملم شذاها.. أنصت لزفراتها، وكل مرّة أعود للبحر فأعيش مدها وجزرها ثورتها وانكسارها.. أعيش دورتها العشقية الأبدية ولا زالت تراني شاطئها الأوحد.. ولازلت أراها موجةً.

(١٠١)

لقد أصابني مللٌ هذا الصباح..

ثمة معضلات في الحياة تؤرقني تقرض من حياتي، ثم يأتي يوم تغادرنا الحياة قبل أن نحلها، أنا لم أعد أعتبرها معضلة. أنا قبلت أن أسميها -بيني وبين نفسي- شركاء حياة، رفاق حياة..

همٌ يثّقل كاهلي فلا تطير مع الرياح التي تعصف بجنبات حياتي

هم آخر يفصل كالوهم بالحجم الذي أريد؛ أختبئ خلفه حينما احتاجه. أحياناً أجعله ساتراً واختبئ خلفه وأرمي

بالتُّهم وبالمسؤولية لجميع من حولي، أحياناً ألبسه قناعاً لأهرب بمشاعري الحقيقة عن أعين الفضوليين.

وتأتي للحظات صدقي في خلوتي.. أخلع عني همّي الرسمي أرتدي همَّ نفسي الحقيقي.. همّي الفضفاض، همّي السري.. فأبكي وأبكي لما لا تلمحه العيون في عيني.. لما لم تلمسه قلوبٌ في قلبي.

وفي سرّي أشكر ربّي الذي ستر همّي الحقيقي.

(١٠٢)

يا صديقي،،،

في مجتمع يقدّر فيه غناك الزوجيّ بعدد أطفالك وجنسِهِم، لن يتوقف مَن حولنا عن إشعارنا بالنقص. إذ مهما فعلنا، لن نرقى يوماً إلى معايير مجتمعنا التي لا تنتهي، وستكون مهمتنا أصعب بكثير حين لا نعترف بهذه المعايير، وحين تكون لنا الجرأة الكافية كيّ نعترف بمعاييرنا الخاصة.!

حينها لن يعي أحد ما نقصده، حين أقول أنني لا أريد أن أنجب الأطفال، أنا التي قد تنجب فيما بعد أكثر من طفل واحدٍ دون أن يشكّل الأمر تناقضاً يذكر بالنسبة إليّ، لن يعي أحد ما أقصده حين أقول أنني لا أحب الأطفال، أنا التي قد تتحول إلى

طفلة بمجرد رؤية كائن صغيرٍ في غرفة الانتظار إلى جواري .!

إن مجتمعاً لا يعرف أن يقيس مشاعرك تجاه من تحب إلا بمقدار ما تتمتع به هذه المشاعر من بدائية، ولا يطمئن إلى استمرارية استقرارك إلا بما يتمتع به هذا الاستقرار من سذاجة، مجتمع لن يكتفي منك أبداً، إلى أن يمرّ بك العمر وتكتشف أنك لم تفعل شيئاً سوى ملاحقة فقاعات صابون لا أكثر.!

(١٠٣)

علي أن أُقِر وأعترف ما على المشتاق من حرج..

علينا أن نقِّر جميعنا وقد عانينا الاغتراب والشوق.. أن الشوق يذهب بالوقار وبالهيبة وبالتماسك أيضاً، وإلا فما معنى تلك الدمعة الحاضرة في عيناي، تنهمر بسرعة قبل حتى أن ألحظ وجودها. ما معنى أني أستشعر تماماً معنى كلمة جوارح..؟ فأشعر بالقلب ينقبض وبالرئتين تمتلئان استعداداً لزفرة طويلة؟ ما معنى حساسيتيَّ الزائدة لكل لحنٍ.. لكل قافية.. ولكل صورة؟

ما معنى أن تسكُنني نار تخبو ثم تتقد عندما تذكيها الذكريات؟

مامعنى أنني أشتاق حدَّ البكاء وتختلط عليَّ وجوه بأماكن بأزمان؟

ما معنى أن أشتاق لمن وراهُ الثرى فأبلاه.. فتسكن عيني وجوه

وأماكن أشعر أنها اندثرت معه وبعده؟! ثم يسقط في يدي، أضيعُ فلا أعرف قبلة أشواقي، وقد أصهر الوجوه بالأماكن بالذكريات بالحواس.. فأهمس بحنين مشتاقة أنا للوطن.

(١٠٤)

أشعةُ الشمس تلسع بشرتي.. تداعب عيني أحاول أن أتحاشاها.. أغمض وابتسم، شيءٌ ما يجعلني أبتسم؛ على شرفتي قد تكون الشمس.. قد تكون الأغنية التي أترنم بها.. قد تكون الحياة التي أترقبها أمامي، أرويها ببعض الماء وأنظف بعض الأوراق الصفراء على التراب حول الساق.. أمسح الغبار عن بعض الأوراق.. وأكتشف أزراراً لم تكن بالأمس تحت هذه الوريقات.. فابتسم للأزرار وللأوراق وألتفت لأرى مملكتي الصغيرة على الولادة الجديدة، أستحثها على العطاء.. أحصي: كم من الابتسامات تفتحت حولي.

طوال عمري كنت محاطة بجمال؛ الحياة تتفتح من حولي. ولم أر الجمال إلا عندما آل إليّ إرث ظننته بالأول ثقيلاً، ثم ما لبثت أن أحببته، عشقته يوم دبت الروح في ورقة وغصن.. يوم شاركت ببسمتي للأوراق، يوم حلقت فراشة بين أوراق شرفتي الربيعية، يومها خطر لك فنجان قهوة صنعته وجلست بمملكتي استمتع به.. مددت يدك لأرتشفه، فانتبهت إلى أنني قد أضعت فنجاني.

(١٠٥)

لا أدري ما حل بيّ في هذه الليلة قد لا يكون انكماشاً ولا خوفاً من الفشل، و لكن في ليالٍ وحيده قد تشعر بأن شيئاً ما بداخلك يحاول أن يقودك.. يحاول أن يسيطر عليك، شيء بإمكانه أن يسرق النوم من عينيك فلا تقدر أمامه إلا أن تمسك الهاتف بحثاً عن صوتهم، لعله يعيد إليك نومك المنهوب.

أحاول أن أستجدي ذاكرتي وألملم صورهم في مخيلتي وأعود لأغمض عيني من جديد، فأتذكر كل الحواجز و والأسوار التي تفصلني عنهم، والتى لن استطيع أن أظهرها و لن أستطيع لها نقباً.. حينها فقط سأدرك أنني أضعف مما كنت أعتقد، ولن يكون أمامي إلا ان أسحب نفسي بعيداً؛ هاربة من إحساس مرَّ بي ذات ليلة.

هرباً من دفءٍ أحسست به حين أنصت إليهم ذات وحدة، كم تمنيت أن تكون الحقيقة ببساطة الحلم.

(١٠٦)

لم أستطع النوم ليلتيّ الماضية ..

حامت فوق سريري أطياف كثيرة أحداث وأشخاص، حاولت أن أسايرها في تحليقها غير أن كل طيف لمسته انتشر

وتلاشى وتركني مندهشة! من أين أبدأ؟.. بالذكريات أم بالأحلام أم أحلم بذكرياتي.. فقد يحدث أحياناً أن نعود لذكرياتنا نمحو منها ما يؤلمنا.. نمحو سيئاتنا وسلبيتنا، نلمع صورتنا أو نكسرها فنجعل من أنفسنا مجرد ضحية. يحدث أحياناً، أعبث بذكرياتي أتناسى نهاياتها وأخترع نهايات كانت تليق بها أكثر.

لم تمر ليلتي بسلاسة ولا بهدوء، قررت أن أنهض وجلست على حافة السرير أحاول أن استجلي أفكاري، فخانني دماغي ولم يعطني أي خيط بداية بل سحب مني كل همةٍ ورماني بلاحراك؛ مستسلمةً لأرقي الذي تراوح بين لذة الحلم وألم الذكرى، وشوق كبير اجتاحني فارتجفت ثم تكومت كطفلٍ كل همه أن يحيط به حضن أمه، ويدخل في سكون قرب قلبها من جديد.. وفجأة تذكرت؛ ماتت أمي.

(١٠٧)

مزيدٌ من الفوضى أمامي.. طاح الكوب من يدي و شربَتهُ أوراقي، فطارت سطور وتبعثرت حروف وانتشرت اتهامات سوداوية تصمُّ قلوباً أحاطت بي.

ومع ذلك لم يطل وقوفي أمام أنصاف الكلمات، ولم يطل ترددي أمام تعابيري المبتورة.. ولم أفكر باستعادتها ولا حتى بقراءتِها.. جمعتُ أوراقي ورميتها.. نظمت أوراقاً جديدة.. ووضعت فنجاناً

آخر ليوم جديد.

(١٠٨)

هذا اليوم سأحكي لك عني..

عندما آتي لأكتب عنك وعن قهوتك الصباحية تنسلخ عني حياتي، وأنسلخ عن جميع تفاصيلي اليومي وأستحضر مشاعرك، طقوسك. رائحة غرفتك؛ لابد أنها مزيج من دخان عتيق مع بعض القهوة الطازجة.. وأحتار إن كان مقعدك وثيراً يوفر لك كل الأجواء لتشرد فقط، أم أن كرسيك قديم تعلوه وساداتٌ نسيت هي نفسها بأي زمن رميت؛ دون تعديل يذكر. وأحتار بك.. أتراك تجلس إلى طاولة أم أنك تجلس أمام النافذة؟.. هل تجر خطواتك لتمشي أم أنه لازال بك عنجهية شاب قديم؟..

أخطو بوجل وأحتار بأي زاوية أختبئ.. أراك أصفك ولا أخدش خصوصيتك.. على أي مسافة أنا منك؟ أي النظارات تضع لتبدأ القراءة؟ أي دخان تشعل لتعد ثواني يومك؟

وفي لحظة غيبية من شرودي واندماجي وتحليقي تتفاوت معالمك فلا أعرفك! أأنت أنت من أردت أكتب عنك فأستحضر كل عشقي.. أم أنك آخر وحيد.. مجرد وحيد.. يمضي أيامه كما أرسم له؟

(١٠٩)

أعترف لك لم تجذبني يوماً تفاصيل المشهد خلف النافذة.. لم يجمد المشهد خلف نافذتي، وحدها لحظتي جمدت، توقف الزمن ووقفت على عتبتي أتردد في خطاي.. هل أخطو أم أهرول أم أقفل النافذة وأعود؟؟

يا ترى أما زالت رؤاي وأحلامه هناك زاهية؟ المنضدة كما تركتها آخر مرّة أم أنها هي الأخرى اهترئت من طول الانتظار؟

وحيدةٌ أنا خارج اطار الزمن، يقتلني السؤال في أي زمن أريد أن أكون.. مع من أريد أن أكون؟؟ فما زلت على عتبة روحي أتردد في الإرتماء.

(١١٠)

هذا الصباح أنا ضائعة بين خياراتي.. بين أكوام أشيائي ونوازعي. هل حان الوقت لأنظم كل ذلك في حقائب فقد يأزف الرحيل في أي لحظة.. أم أن جمع الأشياء في حقائب وعلى رفوف يعني انتهاؤها؟ للأسفار المكانية حقائب وزوادات ومواعيد.. وحده السفر لأعماق الذات يشدني يستغرقني ولا يحتاج مني أي استعداد.. وعلى رشفة القهوة الثانية أذهل عن كل قراراتي وأسافر.

(١١١)

عدت لتوي من مشوار ذهبت فيه إلى صيدلية تبيع الأدوات الطبية، كل شيء على الرفوف وعلى الأرض وفي كل الزوايا، إبتداءً من الحلويات التي بدون سكر لجميع أنواع الجبائر، عيون زجاجية، أثداء صناعية، أطراف صناعية،عكازات كراسي، فرشات هوائية، أسرّة مشافي الخ.

ياربي كم من النعم نملكها ونستعملها مجاناً ولم نوفي حق شكرها.

اختنقت وأنا أحاسب، وخرجت وأنا أدعو لنفسي ولأهلي وأقربائي وجميع أصدقائي ومعارفي.. أن لا نحتاج لتعويض أي نعمة إلهية بأدوات من صنع إنسان.

(١١٢)

عجيبةٌ هي الصداقة! كيف تنسج خيوطاً عنكبوتية بين شخصين، تبقيهما على نفس المسافة من القرب الروحي رغم المسافات الحقيقية التي تفصلهما بالمكان أو حتى بعمر الزمان. وأحياناً رغم اختلاف الحضارات التي قد ينتميان إليها، فتتجلى في لحظات إنسانيةٍ مشاعر وُدٍ تطغى على كل المتناقضات، ويكون العرفان بالصداقة هو سيد الموقف.

(١١٣)

كم من الوداعات لم نظنها الأخيرة..

وكم من الكلمات كنّا نحلم بنطقها ترنيمةً، فبقيت حبيسة الشفاه والفكر...

(١١٤)

في ذلك اليوم جاءت أمي إلى غرفتي مضطربة ترتجف، قالت لي: جدّتك تحتضر!؟ طلبت أن أحضر دواءً،ارتديت ملابسي على عجلٍ.

وأنا أسرع في الطريق، وفي تلك اللحظة كان يخيل لي أنه بإمكاني إنقاذها أو على الأقل استطع أن أمدَّ في عمرها ولو بضعة أيام.

في مساءِ ذات اليوم ماتت جدتي، وبعد انتهاء مراسم الدفن والعزاء.. احتضنت أمي وبكيت بحرارة، فأنا فقدت منذ ساعات أُمٍ أخرى، وأصبت برهاب الخروج من المنزل لعدة شهور.

(١١٥)

الصمت يتسيد الغرفة، والنباح يغزو المدينة ثلاث وعشرين

ساعة، الآذان لا يسمع.. الجارُ يصرخ في زوجته كل ليلة ،صراخه إلى الآن في أذنيّ، والجارُ الآخر يرقد على سريره؛ مبتسمٌ يراقب الضجيج من نافذته. وأستمتع أنا بالجاز عشر دقائق.. وعشر دقائق استمع الى الترانيم الصوفية.

(١١٦)

اليوم أنا مع أوراقي أجمعها وأسألها، فتحدثني تارة عمّا يجول بخاطري، فتزينه لي غابات سحريةٍ مورقة الأشجار، وارفة الظلال وقريبة المنال. وتارةً أخرى تغلق علي المخارج تحبسني باحتمالات مُرّة .. تفتحها مرّة بعد مرة، فتضع لي الحواجز والعراقيل. فلا أنا أتعب من المحاولة بحثاً عن احتمال.. ولا تتعب هي من سدِّ نوافذ الفرح عليَّ.

بيني وبين أوراقي أسرار قديمة، بيني وبينها أحلام أودعها إياها منذ سنين وسنين، بيني وبينها مكاشفات، بسمات ودموع. أهمس لها بأسماء بأماكن وأحداث، فتفتح لي خزائن سحرية من الألوان. أقوم أنا بإخراج المشاهد ورقة بعد ورقة، بتوصيف شخوصها.. أرسم المكان والأنوار والظلال.. فتتطاير عقبات وتترحل أنقاض خيبات سابقة وأوهام، تتفتح آمال وتمضي بي الأحداث.. وتتقدم أوراق أحلامي، تفتح لي الطريق حتى تسلمني بآخر ورقة مفاتيح الجنان.

وقد تلاعبني لعبة الترقب والتشويق، مستأثرة بكل توقعاتي بكل اختلاجات نفسي بنبض قلبي.. وقد تغتالني بآخر ورقة.

(١١٧)

من قال أن الأفكار قد تنضب.. ومن قال أنه في غرفة بسيطة لا يمكن الإعداد لسهرة تطول وتمتد.

أتدري لسهرتي اليوم نكهة الذكريات.. اخترت المغني من أيام أعشقها.. ووضعت صور أفراد أسرتي على الطاولة أمامي تزاحم بعضها بعضاً.. وبعضها تستبق دورها تهرب مني وتغريني لأبدأ بها قبل غيرها، وأنا كنَهِمة لوليمة بعد جوع، أضع كفي عليها، أفردها وأجمعها وكأنني أبحث عن واحدة بعينها.. اتخذت قراري سأطالعها كما هي بعشوائيتها. اجمعها بيدي الإثنتين معاً وأبدأ بتقليبها واحدة فواحدة.. أكثر الصور التي استوقفتني هي التي لم ارتسم أمامها، بل التي استدعتني، وأخذتَ تنبش في زوايا ذاكرتي عن تفاصيل أكثر، عن محطاتٍ ثانية بحياتي لم تخلدها الصور. ترتخي يداي على طاولتي، ويصدح المغني بألمِ يعتصر فؤادي.. والصورة إلى الآن لم تظهر، هي تحضر وتغيب.. هي تلاعبني وتلعب بأعصابي.. أبتسم لها وتغرق عيناي بالدموع..